حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد الثاني . شهر رمضان ١٤٣٣هـ / آب . ٢٠١٢م

٢

مرقد الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام سنة ١٩٣٥م

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

شعر
شمس الدين الواعظ الكوفي

الأستاذ الدكتور حسين عبد العال اللهيبي

كلية الفقه/ جامعة الكوفة

المقدمة

في سنة ٦٥٦هـ اجتاح التتار بغداد - معقل الخلافة العباسية - واستولوا على كلّ ما فيها، وبذلوا السيف في أهلها، وأشاعوا الفوضى والدمار، وهجعت بغداد تحت ركام الحرائق والخراب، وكان ذلك كفيلاً بأن يقضي على تراثها الذي جهد أبناؤها في سبيله خمسة قرونٍ من الزمن.

وفي خضمّ هذه الظروف القاسية والأحداث الجسام برز شمس الدين محمد بن أحمد الهاشمي الكوفي شاعراً مبدعاً يشارُ إليه بالبنان بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ وقد أسهم هذا الشاعر في تصوير الأحداث التي شهدتها بغداد، وما حلّ بها من خرابٍ ودمارٍ، وما أصابَ أهلها من المحن والرزايا على يد المغول عند اجتياحهم بغداد مقرّ الخلافة، ومنار العلم، لهذا يعدُّ شعره وثيقة تاريخية مهمّة دوّن فيها آثار سقوط بغداد، وتداعيات هذه النكبة التي تركت آلاماً وأحزاناً في نفسه ونفوس المسلمين، فمضى يصوغ أفكاره وأحاسيسه عبر قصائد اتسمتْ بالعُذوبة والرقة.

لقد كان الشعر من أهمّ آثار شمس الدين الكوفي، وأعظم مجالاته نبوغاً، وشهرته فيه أعظم من شهرته عالماً وواعظاً وخطيباً.

وعلى الرغم من شهرته شاعراً مبدعاً وهب حياته لشعره وأخلص له، فإنّ مصادر ترجمته لم تفصح كثيراً عن حياته، وهي إحدى العقبات التي واجهت الباحث خلال تتبعه لسيرته، وجمع شعره.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة في قسمين، الأول يتضمن دراسة الأغراض التي تطرّق إليها شعره، وما لهذا الشعر من مزايا فنية على صعيد الشكل والمضمون.

أمّا القسم الثاني فهو جمع لأشتات شعره المتناثر في بطون الكتب، وإخراجه محققاً سهل التناول قريب المأخذ.....

التمهيد

(حياتُهُ)

أبو المناقب محمد بن أحمد بن عبيد الله بن داود بن محمد بن علي بن يحيى بن زيد بن يحيى أحمد بن داود بن صالح بن محمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم شمس الدين الأبزاري القرشي الهاشمي الحنفي الكوفي الأصل، البغدادي السكن، المعروف بالواعظ[١]

ولد بالكوفة سنة ٦٢٣هـ[٢]، وبها نشأ، وإليها ينسب، ثمّ فارقها في أوّل شبابه قاصداً بغداد، وبها درس وتثقف وألمّ بمعارف عصره إلماماً حسناً.

كان شمس الدين الكوفي على جانب كبير من العلم، موفور الحظ من الثقافة، تولى خطابة جامع السلطان، كما تولّى التدريس بالمدرسة التتشية ببغداد، ووعظ في باب بدر، ومن هنا كان لقبه بالواعظ[٣].

عرف شمس الدين الكوفي بقوة شخصيته التي نالت إعجاب مترجميه فأشادوا بفضله، ودماثة أخلاقه، وفيه يقول ابن شاكر الكتبي: (كان أديباً فاضلاً عالماً شاعراً ظريفاً كيّساً دمث الأخلاق)[٤].

---

(١) ينظر في ترجمته:

الحوادث الجامعة: ٣٩٠، ذيل مرآة الزمان: ١٥/٣،عيون التواريخ: ٢١/ ١٠٧، تاريخ الإسلام (حوادث سنة٦٧٥هـ)، سير أعلام النبلاء: ٣٧٩/١٥، فوات الوفيات: ٤/ ١٠٢، الوافي بالوفيات: ٢/ ٧٠، عقود الجمان (خ): ورقة ٣٥٤، تاريخ ابن الفرات: ٧٢/٧. الدليل الشافي: ٢/ ٥٨٥.

(٢) فوات الوفيات: ٤/ ١٠٢، عيون التواريخ: ٢١/ ١٠٧.

(٣) فوات الوفيات: ٤/ ١٠٢.

(٤) فوات الوفيات: ٢/ ٢٣٤- ٢٣٥.

كان واعظاً جريئاً لا يخشى أحداً، وكان يغلظ في مخاطباته للمستنصر بالله الخليفة العباسي، فمنعه من الجلوس للوعظ بباب بدر؛ لكثرة إنكاره عليه، وتغليظه للعبارة إذا خاطبه، في حال وعظه، فلمّا بصر به الشيخ شمس الدين وعرفه، قام له واقفاً، فقال له المستنصر: أجلس يا أبا محمد. فقال: بباب بدر يا مولانا أمير المؤمنين؟، فقال: ببدرة، وجهّز إليه من الغداة ألف دينار، وأجلسه للوعظ، ولم يتغيّر الشيخ شمس الدين عن تغيير العبارة في وعظه[1].

ومن طريف ما يحكى عنه (إنّ شمس الدين الكوفي الواعظ لقيَ يوماً عماد الدين محمد بن الحسن الأبهري المعروف بالزمهرير، فقال له: أنا وأنت لا نرى في الجنة، فتأثر لذلك واغتاظ منه، فقال له شمس الدين الكوفي: لا تغضب إنّ الله بشّرنا بذلك أليسَ اللهُ تعالى هو القائل (لا تَرَوْنَ فيها شمساً ولا زمهريرا)[2].

مات شمس الدين الواعظ سنة ٦٧٥هـ[3]، وله من العمر اثنتان وخمسون سنة،

الفصل الأول

(موضوعات شعر شمس الدين الكوفي)

نظم شمس الدين الواعظ في أكثر الأغراض التي كانت معروفة في عصره؛ وقد نظمها في مناسبات شتّى، وكان الرثاء والغزل والوصف من أبرز الأغراض شيوعاً في شعره.

وهو يمضي في طائفة غير قليلة من أشعاره يرثي بغداد – مدينة السلام – وما حلّ بها من دمار وخراب على أيدي التتار أعداء الحضارة والإنسانية، وما جرى على أهلها من ويلات ومآسي، وهو ما ساعد على ذيوع شعره، وعلوّ صيته، فمضى يصوغ أفكاره، ويفرغ أحزانه في قصائد اتسمت بدفق العاطفة، ورقة الوجدان على نحو ما نرى في قصيدته النونية التي أظهر فيها جزعه وأساه على أحبابه الذين اختلسهم الموت، فمضى يصفُ آلامه وأحزانه فيها، ويشكو فراق أحبابه إذ بقي وحده منفرداً توحشه الدنيا، ويستبدُّ به الأسى، ويتجرّع الغصص، متمنياً الموت قبل فراقهم، يقول[4]:

إنْ لـمْ تُقـرِّحْ أدْمُعـي أجْفـاني
مِـنْ بعْـدِ بُعـدِكم فمـا أجْفـاني
إنسانُ عَيْنـي مـذ تنـاءتْ دارُكُـمْ
مـا راقـهُ نظـرٌ إلـى إنسانِ

يـا ليتنـي قـد مُـتُّ قبـل فِـراقكمْ
ولـساعةِ التوديـعِ لا أحْيـاني
مـا لـي وللأيّـامِ شَـتَّتَ صـرفها
حـالي، وخلاّنـي بـلا خِلاّنـي
مـا للمنـازلِ أصْـبَحتْ لا أهلُهـا
أهْلـي، ولا جِيرانُهـا جِيرانـي
وحيـاتِكُمْ مـا حَلَّهـا مِـنْ بعـدكمْ
غَيْـرُ البلـى والهـدمِ والنِّيـرانِ

وفي زحمه هذا الهيجان العاطفي يتذكر ديار الأحبة التي ظعن عنها أهلها، ويقف على أعتابها حيران يتساءل – وهو في غمرة الذهول – عما جرى لأهلها وما حل بهم:

ولقـد قـصدتُ الـدارَ بعـدَ رحـيلكُمْ
ووقفـتُ فيهـا وقفـةَ الحَيْـرانِ
وسـألتُها لكـنْ بغيـرِ تكلُّـمٍ
فتكلَّمـتْ لكـنْ بغيْـرِ لـسانِ
ناديْتُهـا: يـا دارُ مـا صـنعَ الأولـى
كـانُوا هُـمُ الأوطـارَ فـي الأوطـانِ
أيْـنَ الـذينَ عهـدتُهُمْ ولعـزِّهم
ذلاً تَخـرُّ معاقِـدُ التيجـانِ
كـانوا نجـومَ مَـن اقتـدى فعليْهُمُ
يبكـي الهُـدى وشـعائرُ الإيمـانِ

وتجيبه الدار بلسان الحال جواباً مشوباً بلوعة الأسى: إنّ من تسأل عنهم قد أخنى عليهم الزمان، ففرَّق جمعهم، وشتّت الفتهم، وبدّد شملهم كما تبدّد شمل كسرى صاحب الإيوان:

قالـتْ غـدوْا لمّـا تَبـدّدَ شـمْلُهُمْ
وتبـدَّلُوا مِـنْ عِـزِّهِمْ بِهَـوَانِ
كـدَمِ الفـصادِ يُـراقُ أرذل مَوْضِـعٍ
أبـداً ويخـرجُ مِـنْ أعـزِّ مكـانِ
أفنَـتْهُمُ غِيَـرُ الحَـوادثِ مثلمـا
أفنـتْ قَـديماً صـاحبَ الإيـوانِ

وفي قصيدته القافية التي يصف بها آلامه وأحزانه ولوعته على فراق أحبّته الذين غادرهم الموت صرعى في أزقة بغداد، فمضى يندبُهم ندباً حاراً، فضلاً عما حشده في هذه القصيدة من صور متلاحقه اتضحت فيها مأساة الإنسانية يقول في أولها[5]:

أحْبـاب قلبـي نـاوا فالـدّمعُ يَـستَبِقُ
وكـمْ سـألتُهُمْ رفقـاً فمـا رَفقـوا

(١) الهول المعجب: ٨٦-٨٧.
(٢) الحوادث الجامعة: ٣٨١.
(٣) الحوادث الجامعة: ٣٩١، عيون التواريخ: ١٠٧/٢١، تاريخ ابن الفرات: ٧٢/٧.
(٤) الديوان: قافية النون.
(٥) الديوان: قافية القاف.

ضاقتْ بيَ الأرضُ مُذ جَدَّتْ ركائبَهُمْ
وأظلَمَ الجوُّ في عَيْنيَّ والأفقُ
كانُوا جمالي وتاجي في المَلا وشمُوسي
في الضحى وانْسِي إنْ دجا الغَسَقُ
بانوا فَجَفْنيَ مَقروحٌ، ودمعي مَسْفوح
وقلبيَ مجروحٌ ومُحْتَرقُ
واللهِ ما دارَ هذا البينُ في خلدي
ولا ظننْتُ بأنّا قطُّ نفترقُ
إنَّ الذين بكاساتِ المُنَى شَرِبُوا
صُبْحاً فمصطبحٌ منْها ومُغتَبقُ
بينا هُمُ يَشْرَبُونَ الرَّاحَ ما شَعَرُوا
إلاَّ وهُمْ ببقايا الكأسِ قد شرقوا
ضاقتْ منازلُنا مِنْ أجلِ بُعْدِهِم
كأنَّما دورنا مِنْ بَعْدِهِمْ حَلَقُ

إنّه يندب أحبابه ويتفجّعُ عليهم على هذا النحو من البكاء الذي قرَّح جفونه، وآثار شجونه ثمّ يدركه العجب من خلو الديار، وتفرق الأصحاب، وليس له بعد هذه الفجيعة المُروِّعة إلاّ أن ينثر دموعه حزناً وأسفاً:

يا سادةً تَركوني هائماً قلقاً
ولي دُمُوعٌ على الخدَّيْنِ تندَفِقُ
وحقِّكُم ما حَلا لي بعد فرقتكُم
عَيْشٌ، ولا راقَ عِنْدي مَنْزلٌ أنقُ
وكلّما ناحتِ الورقاءُ بعدكُم
في البانِ يلطمُ في أغصانِها الوَرَقُ
ديارُكُمُ وفؤادي بعد بينكمُ
كُلٌّ غدَا منهما بالنارِ يَحْتَرقُ
دَهْري وصبري وقلبي والتجلُّدِ خا
نوني فمن بعدهم قل لي: بمَنْ أثِقُ؟
وأعجب لِمَدْمَعِ ماءٍ لي بهِ حُرَقٌ
مِلءُ الفؤادِ، ونارٌ لي بها غرَقُ

ولم يقتصر رثاؤه على بغداد وأهلها بل تجاوز إلى رثاء المعارف والأصدقاء، ومن ذلك قوله يرثي ركن الدين محمد بن حيدر العلوي نقيب الأشراف بالموصل، وكان النقيب قد سقط بفرسه إلى دجلة ببغداد، عند اجتيازه الجسر سنة ٦٧٤هـ[١]:

ألقاهُ في الماءِ الجوادُ كأنّهُ
بدرٌ هَوَى في جَنْدَلٍ مُتَمَوِّرِ
أمواجُ دجلةَ أغرقتْهُ إذ طغتْ
وكذا الطغاةُ على الأكارمِ تَجْتَري
ولقد تكدَّرَ صَفوُها مِنْ بعدها
ومتى صفتْ لهُمْ، ولم تتكدَّرِ
باللهِ هلْ أغرقتْهُ شغفاً بهِ
يا ماءُ أو حَسَداً لماءِ الكوثرِ
هلاّ رحمتَ شبابه وتركتَه
مِنْ أجْلِ ولْهَى فيهِ ذات تَحيُّرِ
أو ما علمْتِ بأنّهُ رَحِبُ الفَنا
والصدرُ عذبُ اللفظِ حلوُ المنظرِ

ثم يلجأ الشاعر إلى عتاب الماء الذي لم ينصف آل محمد، فقد قضى الحسين - عليه السلام - عطشاً، ولم يسعد بقطرة من مائه، وها هو اليوم يجتريء علي حفيده فيقضي عليه غرقاً:

يا ماءُ ما انْصَفْتَ آلَ محمّدٍ
وعلى كمالِ الدِّينِ كنتَ المُجتري
في الطفِ لم تُسْعِدْ أباهُ بقطرَةٍ
واليوم قد أغرقتَهُ في أبحرِ

ويعدُّ الغزل من الأغراض البارزة في شعره، وهو غزلٌ رقيق، سلك فيه مسلك الشعراء العذريين في عفة لفظه ومعناه، وفي بعده عن الفحش والتهتك، وإذا تأمّلنا شعره في الغزل نجده يرسم لنفسه صورة العاشق المتيّم المستسلم لهواه، وكأنّه يصدر عن قلب عشق الجمال، وتغنّى بالغرام واكتوى بناره، وفي هذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد بأنّه كان صادقاً فيه، ومن جميل غزله، قوله فيمن وهبه حبّه، وأسر قلبه[٢]:

هَواكَ صَيَّرَني بَيْنَ الوَرَى مَثَلاً
وأنْتَ قَصْدي، وأمَّا مَنْ سِوَاكَ فلا
وإنْ بَغى بَدَلاً غَيْري، قُلْتُ: أرى
وجُودَ غَيْرِكَ حتّى أبْتَغي بَدَلا
يا سَيِّدي أنْتَ في قلْبي تُحَدِّثُني
بما نُريدُ، لماذا نُتْعِبُ الرُّسُلا؟
يا عاذلَ الصَّبِّ لا تَتْعَبْ، ودَعْهُ فمَنْ
شَرْطُ المَحَبَّةِ أنْ لا يَسْمَعِ العَذلا
كرِّرْ حَديثَ الذي أهْواهُ في أذني
فكُلَّما مَرَّ في سَمْعِ المُحِبِّ حَلاَ
صَدِّقْ إذا قِيلَ صَبٌّ ماتَ مَنْ ولَهِ
ولا تُصدِّقْ إذا ما قِيلَ عَنْهُ سَلا

(١) الديوان: قافية الراء.

(٢) الديوان: قافية اللام.

إنْ كـانَ حُـبُّ الـذي نَهْـوَاهُ يَقتُلُنـا
كمـا يُقـالُ، فيـا بُـشْرَى لِمَـنْ قـتلا

ونراهُ في مواضع أخرى من شعره يذوبُ صبابةً وكمداً في محبوبه الذي فطر قلبه بجماله الأخاذ فسامه كأس الهوان، ومرارة الصدود، وقد مدّ كفّ الذلّ له، طالباً الرحمة منه[1]:

حَبيبـي جـزتَ حـدَّ الحَـصْرِ وصْـفا
وفقـتَ علـى الـوَرَى حُـسْناً وظرفـا
أريقُـكَ خمْـرةٌ أم سلسـبيلٌ
تُـسرُّ الـروحَ، أم عَـسَلٌ مُـصفّى؟
هِيـامي فـي المَحبّـة غَيْـرُ خـافٍ
وأوصـافُ المَحَبَّـةِ لـيسَ تَخفـى
مَـددتُ إليـكَ كـفَّ الـذلِّ فـارْحَمْ
مُحبّـاً مَـدَّ نَحْـو نَـدالَ كفـا
أيحْـسنُ انْ اذلَّ، وانْـتَ عـزّي
وتَـسْمَعُ قـولَ حُـسّادي وأجْفـا؟

وفي موضع آخر نراهُ يصف جمال محبوبه وحسنه الذي لو رآهُ عذاله لأكبروه، وكحّل أعينهم السهر، ورغبهم الشوق إلى رؤيته[2]:

يـا عـاذلي لـوْ رأت عيْنـاكَ بهْجَـةَ مَـنْ
أهْـوَى لفارقـتَ مِثْلـي لـذةَ الوسَـنِ
يـا مَـنْ لبَهْجَتِـهِ الأقمـارُ سـاجدةً
وارحمتـا لعَـذولٍ فيـكَ عَنَّفَنـي

والوصف من بين الأغراض التي تطرّق إليها، وله في ذلك قصيدة رائية التي يصفُ فيها الربيع، وما يشيعُ فيه من جمال الطبيعة، واعتدال الجوّ، ووفرة المياه، وكثرة الورود[3]:

روحُ الزمـانِ هـو الربيـعُ فبكّـرِ
وانْهَـضْ إلـى اللـذاتِ غَيْـرَ مُنكّـرِ
هـذا الربيـعُ يَبيـعُ مِـنْ لذاتِـهِ
أصنافَ مـا تَهْـوى، فـأيْنَ المُشتَري؟
فـافرَحْ بِـهِ؛ فَلفرْحَـةٍ بقدُومِـهِ
رَفَـلَ الشَّقائقُ فـي القَبـاءِ الأحْمَـرِ
والكـوْنُ مُبْـتَهِجٌ، وخفّـاقُ الـصَّبا
يُحْيـي القلـوبَ بِنَـشْرِهِ المُتعطِّـرِ

إنّهُ يرسم للربيع لوحة جميلة زاهية تملأ القلوب بهجةً ومسرّة، ويمضي على هذا المنوال في وصف الربيع، وذكر محاسنه، إنّه يصف كلّ ما يقع عليه بصره في هذا الفصل الجميل الذي يبعث النشاط والحيوية:

والطَّـلُّ مِـنْ فـوقِ الريـاضِ كأنَّـهُ
دُرَرٌ نُثِـرْنَ علـى بِـساطٍ أخْـضرِ
وتَـرَى الرُّبـى بـالنُّورِ بَـيْنَ مُتَـوَّجٍ
ومُـدَمْلَجٍ، ومُخلْخَـلٍ، ومُـسَوَّرِ
ورياضُـها بـالزَّهْرِ بـين مُقَرْطَـقٍ
ومُطـوَّقٍ، ومُمَنْطَـقٍ، ومُزنَّـرِ
والـوردُ بـين مُـضعَّفٍ، ومُـشنَّفٍ
ومُكتَّـفٍ، ومُلطَّـفٍ لـم يُهْـصرِ
والزَّهْـرُ بـين مُفـضَّضٍ ومُـذهَّبٍ
ومُرَصَّـعٍ، ومُـدَرْهَمٍ، ومُـدَنَّرِ
والنثـرُ بـين مُطيَّـبٍ ومُمَـسَّكٍ
ومُعَطَّـرٍ، ومُـصَنْدَلٍ، ومُعَنْبَـرِ
والـوُرْقُ بـين مُرَجَّـعٍ ومُوَجَّـعٍ
ومُفجَّـعٍ، ومُـسجَّعٍ فـي مِنْبَـرِ
ومُغـرِّدٍ ومُـردِّدٍ ومعـدِّدٍ
ومُبـدِّدٍ فـي الخـدّشِ مـاءَ المحجَـرِ

والحكمة من الأغراض التي تناولها في شعره، وهذا الغرض يمثل خلاصة تجارب الشاعر، ونظرته الدقيقة إلى الحياة، لذا تجد الشاعر يعتمد العظة والعبرة، ومن ذلك قوله[4]:

اعْتـزالُ الـوَرَى سـبيلُ الخـلاصِ
وطريـقُ الفتـى إلـى الإخـلاص
أنـا مـالي هَـمٌّ فبالنـاسِ هَمِّـي
فـي ازديـاد، وهمُّهـمْ فـي انْتِقاصـي
صـاحِ مـا أطْيَـبَ التَّفـرُّدَ فـي الخلْـ
ـوَةِ عَـنْهُمْ، ولـوْ يَفعـلُ المعاصـي
أنْفـقِ الوقـتَ كُلَّـهُ فـي مُـرادي
مُـسْتَرِيحاً مِـنْ كُـلِّ دانٍ وقاصـي

وبعد هذه الأبيات يلجأ الشاعر إلى خطاب نفسه، مذكراً إياها بما ارتكبه من الذنوب التي احتطبها على ظهره، وبماذا سيحتجّ إذا نودي يوم الحشر وقد جاءت صحيفته سوداء مبرّزة بالمعاصي، فليس له بعد هذا إلاّ أن يكفّ ويقلع عمّا هو فيه، فقد ذهب العمر، ودنا الرحيل، ولا شيء بنافع في هذه الدنيا سوى العمل الصالح:

ليْـتَ شِـعْري مـا ذا أقـولُ إذا نُـو
ديَ فـي الحَـشْرِ: يـا فـلان المعاصـي

(١) الديوان: قافية النون.
(٢) الديوان: قافية النون.
(٣) الديوان: قافية الراء.
(٤) الديوان: قافية الصاد.

وتاسَّفتُ حين شاهدْتُ أعمالي قباحاً، ولاتَ حينَ مناصِ
يا كثيرَ العصيانِ قد ذهبَ العُمْـ ـرُ إلى كمْ تَرَى ركوبَ المعاصي
أيْنَ مَنْ شَيَّدَ القصُورَ لقد ما تَ، وماتَ القنُوعُ بالأخصاصِ
كُن حَريصاً على الصلاحِ وفارقْ شأنَ قومٍ على الحُطامِ حِراصي
وتفكّرْ يوماً يَحيقُ بكَ الذ لُّ، ويدْعي فيه لأخذِ القصاصِ

وله في الحنين إلى الكوفة موطنه الأصلي أبياتٌ في غاية الروعة، فهو وإن استوطن بغداد وعاش في كنفها حتى مات بها، فقد ظلّ يحنُّ إلى الكوفة حنيناً متصلاً، وظلّ قلبه يهفو إليها، وإلى ترابها ومائها، يتشوّق إلى مراتع صباه بها قائلاً[1]:

حنَّتِ النَّفسُ إلى أوطانها وإلى مَنْ بانَ مِنْ خِلاّنها
بديارٍ حَيِّها مِنْ مَنْزِلٍ سَلَّمَ اللهُ على سُكّانها
تلكَ دارٌ كانَ فيها مَنْشَئي مِنْ غَرْبِيِّها إلى كُوفانها
وبها ذُوقُ الصِّبا أرْسَلْتُها هَمَلاً تَمْرَحُ في أرْسانها
فلكمْ حاورتُ فيها أحْوَراً ولكمْ غازلتُ مِنْ غِزْلانها
ولكمْ قَضَّيْتُ فيها أرَباً آه، واشوْقاً إلى كُثبانها

وبعد هذا نرى أنّ الأغراض التي ذكرناها هي الأغراض البارزة في شعره، وما سواها فهو قليل نادر لا يستحق الذكر باكثر من الإشارة إليه.

* * *

الفصل الثاني

الخصائص الفنية في شعره

أولاً. البناء الفني في شعره:

١- بناء القصيدة:

لا يختلف شعر شمس الدين عن غيره من شعراء عصره من حيث بناء القصيدة؛ فهو يقتفي أثر من سبقه من الشعراء، شأنه في ذلك شان غيره من شعراء عصره، فهو يبدأ قصائده بمقدمات غزلية نظمت بلغة رقيقة عذبة، وهذه المقدمات تتشابه فيما بينها إلى حدٍّ كبير، فهو يشكو فيها تباريح الهوى، وأوصابه، وما لقيه من شدّة الوجد، ولوعة الهيام، وألم الفراق. وقد اهتمّ كثيراً بمطالعه فجاءت أكثرها مصرّعة، ومن جميل مطالعه قوله[2]:

عندي لأجلِ فراقكمْ آلامُ فإلى مَ أُعْذلُ فيكمُ وألامُ؟
مَنْ كانَ مِثلي للحبيبِ مُفارقاً لا تَعذلوهُ فالكلامُ كلامُ

ويعمدُ أحياناً في بعضِ مطالعه إلى التلاعب بالألفاظ فيستعينُ بالجناس كقوله[3]:

إنْ لمْ تُقرِّحْ ادْمُعي أجْفاني مِنْ بعْدِ بُعدِكم فما أجْفاني
إنسانُ عَيْني مذ تناءتْ دارُكُمْ ما راقهُ نظرٌ إلى إنسانِ

وينزعُ أحياناً في بعض مطالعه إلى ذكر الديار والأطلال، ومن ذلك قوله[4]:

ما جئتُ كُثبان النَّقا والأراك الا عَسَى يا نُورَ عَيْني أراكِ
وأنْتَ قصدي لا أراكَ الحِمَى لولاكَ ماذا كُنْتُ أبغي هُناك؟

والشاعر المبدع الذي يختار لقصيدته أفضل المطالع، وأحسن الابتداءات، بما يوافق غرضه الذي من أجله نظمَ قصيدته؛ لأنّه حينئذ إذا (أضافَ إلى هذا الحسن ـ حسن الابتداء ـ إيراد أوّل بيت من القصيدة مشعراً بالغرض منها في إشارة لطيفة، فقد ضمَّ إلى براعة المطلع براعة أخرى هي براعة الاستهلال)[5]، ومن براعة الاستهلال التي تشعرُ بأنَّ الغرض الرثاء قوله يرثي تاج الدين علي بن عبدوس قوله[6]:

أرى الدّنيا تؤولُ إلى نفادِ ونحنُ لها بأنفسنا نُفادي

ومن براعة الاستهلال التي تشعرُ بقرينة الذوق أنّه يريد الحكمة[7]:

---

(١) الديوان: قافية النون.

(٢) الديوان: قافية الميم.

(٣) الديوان: قافية النون.

(٤) الديوان: قافية الكاف.

(٥) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، السباعي البيومي: ٢٩٣/٣.

(٦) الديوان: قافية الدال.

(٧) الديوان: قافية الصاد.

اعْتــزالُ الــوَرى ســبيلُ الخــلاصِ
وطريــقُ الفتــى إلــى الإخــلاص

ويحفل شعر شمس الدين الواعظ كثيراً بخواتيم قصائده، وإذا تاملنا هذه الخواتيم نجدها قد تعدّدت أشكالها تبعاً لاختلاف موضوعات القصائد، ومن هذه الخواتيم خاتمة قصيدته القافية التي تضمنت مديحاً للنبيّ محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ[1]:

جارَ الزَّمانُ على قلبي الحزين ولو
لا مَدْحي المصطفى لمْ يَبْقَ لي رَمَقُ
المُجْتَبى خَيْرُ خَلقِ الله كُلِّهِم
ومَنْ تَكَمّلَ فيه الخلْقُ والخُلُقُ
صلّى الإلهُ على المُختار ما طلعتْ
شمسٌ وأشْرَقَ نَجْمٌ، أو دجا غَسَقُ

ومن جميل خواتيمه قوله[2]:

يا ليتَ شِعري كيفَ حالُ أحبَّتي
وبأيِّ أرضٍ خيَّمُوا وأقامُوا؟
ولقيتُ مِنْ صرفِ الزمانِ وجورِه
ما لم تُخيِّلُهُ ليَ الأوهامُ
ما لي أنيسٌ غَيْرَ بيتٍ قالهُ
صَبٌّ رمَتْهُ مِنَ الفِراقِ سِهامُ
(واللهِ ما اخترْتُ الفراقَ، وإنَما
حكمتْ عليَّ بذلكَ الأيامُ)

٢- الموشّح:

الموشح لفظٌ مأخوذ من الوشاح وهو شبه القلادة من نسيجٍ عريض يرصّع بالجواهر تشدُهُ المرأة بين عاتقها وكشحيها[3].

أمّا في الاصطلاح فهو من فنون الشعر المستحدثة التي أولاها الشعراء اهتمامهم، ويبدو أنّ الشعراء قد شعروا بالقيود المفروضة في عمود الشعر التي تحدُّ من حرية النظم فيما يتعلّق باستبداد القافية؛ لذا نجد هذا اللون من الشعر (تتعدّد أوزانه، وتتنوّع قوافيه تبعاً لرغبة قائله، وقُدرته على التصرُّف في أفانين الكلام)[4].

وللموشّح نظامٌ خاصٌ به يُتّبع عند نظمه يختلف عن نظام القصيدة المعروفة، فهو (يتالف من فقرات تسمّى أغصاناً وهي عبارة عن أشطار في نفس البحر، ولكنّه بقافية مختلفة تلزم في كلّ الأقفال، أمّا الأغصان فقوافيها قد تختلف ولكنّها لا تكون إلاّ من نفس البحر)[5].

لقد استهوى الموشح الشعراء وعنوا به عناية فائقة، وأظهروا فيه مقدرتهم الفنية، وأفردوا له مكاناً من دواوينهم منهم شمس الدين الواعظ الذي نظم فيه، وقد وصل إلينا منه موشّحتان، وموضوعهما الغزل، قال في إحداهما متغزّلاً في غلامٍ فطر قلبه بجماله الأخاذ، فمضى يشكو تباريح الصبابة والشوق[6]:

أدْهَشَ لُبّي هذا الجُؤذر حاوي المُلَحْ
شَوَشَ قلبي حاليَ غَيَّر لمّا سَنَحْ
نَقّشَ ربّي ورداً أحْمَرْ مثل الشَّبحْ
من الثملِ حَيَّرَ عقلي في خدودِ ذا البدر
قُمِ اسْتَجْلي ذا واسْتملي مَنْ عِذارُهُ عُذري
بلا مَيْنِ مشروحي وما أجيبُ
بلا مَينِ سَبى روحي هذا الحبيبُ
منَ الحينِ بما يجيء هو الطبيبُ
دعِ عَذلي ما يُسلّي بلْ ربّما يُغري
كمْ مثلي من قبلي مَن كانَ أمْرُهُ أمْري
تفدي نَفسي وقلّتْ فِدَا لذا القدّ
فيا شَمْسي قل لي غدا وما وعدي
كمل أنْسي برغم العِدَى أجِبْ قصْدي

بهذا الأسلوب الممتع السهل الجيد السبك يسترسل في غزله، لقد نظم شمس الدين موشحه هذا، وهو من الموشح التام، وقد جعل شمس الدين القفل ستة أجزاء، والبيت تسعة أجزاء، أيّ ثلاث فقرات، كلّ فقرة مركبة من ثلاثة أجزاء.

ثانياً . اللغة:

يتّسمُ شعر شمس الدين الواعظ بالسهولة والوضوح، والابتعاد عن التعقيد والغريب، ولا يحوج من يتامّل شعره الرجوع إلى معجم لغوي يسعفه في كشف ما غمض من شعره، ومن يتامل شعره يدرك حقيقة ذلك.

إنّ أسلوبه السهل في النظم ينمُّ عن سعة ثروته اللغوية، وإحاطته بدقائق أسرارها، وقدرته على التصرُّف في معطياتها، ومع ما كان يتوخّاهُ في شعره من الألفاظ الفصيحة إلاّ أنّ بعض الألفاظ (الأعجمية والدخيلة) قد تسربت إلى شعره والتاثت به مثل (الخندريس، جالينوس، مغناطيسُ، خطلشاه....).

أما تراكيبه فهي ـ في أكثر الأحيان ـ متينة قوية متماسكة، تستمدّ قوتها من خلال ما زخر به شعره من الإيجاز والإطناب،

(١) الديوان: قافية القاف.
(٢) الديوان: قافية الميم.
(٣) القاموس المحيط (مادة وشح).
(٤) الموشح في الأندلس وفي المشرق: ٨
(٥) فصول في الأدب الأندلسي: ١٢٢.
(٦) الديوان: ينظر الموشح.

والتقديم والتأخير، والحذف والذكر، والنداء والاستفهام، فضلاً عن حلية الطباق التي تزيد التركيب قوة ومتانة، وهو ما يوحي بقدرته على التصرُّف في معطيات اللغة.

ثالثاً - الموسيقى:

الموسيقى وسيلة من وسائل شدّ السامع، وجلب انتباهه؛ ذلك أنَّ عناصر الموسيقى والإيقاع تنصهر في حركة وزنية تحدّدها طبيعة العلاقة بين هذه العناصر من جهة، وبين المقاطع الطويلة أو القصيرة من جهة أخرى مع وقع القافية المتكرر وما يحدثه رويّها من حركة انفجارية تغور في أعماق الفكر؛ لتحدث في النفس هذا التأثير القوي المتسق.

ومن يتأمل شعر شمس الدين الواعظ يجد أن أكثره تتوافر له ضروبٌ من القيم الصوتية المتناغمة التي تزيد النصّ موسيقى وجمالاً، منها: الجناس الذي يكثر في شعره كثرة واضحة، ومن ذلك قوله[1]:

ملابسُ الصَّبْرِ نبليها وتبلينا
ومُدَّةُ الهجرِ نفنيها وتفنينا
شَوقاً إلى أوجه مُتنا بفرْقتها
حُزناً، وكانتْ تُحَيِّينا فتُحْيِينا
أحْزانُنا بِهِمُ لا تَنْقَضي، ولنا
شَوْقٌ إلى ساكني يَبْرينَ يبرينا
يا دَهْرَ قد مَسَّنا مِنْ بَعْدِهم حُرقٌ
مِنَ الفِراق إلى التكفينِ تكفينا
وعَدْتَنا بالتلاقي، ثمّ تخلفنا
فكمْ نَرَى مِنْكَ تلويناً وتلوينا
ديارهم دُرِسَتْ مِنْ بَعدما دَرَسَتْ
نَفسي بها مِنْ تلاقينا تلاقينا
مُتِّعتُ فيها إلى حينٍ فوا أسفاً
إذ عشتُ حتّى رأيتُ الحين والحينا

فهذا الجناس الذي اكتنف النصّ وأخذ بمجامعه يزيدهُ موسيقى وإيقاعاً صوتياً متردّداً بين إيحاءات المعنيين مع ما يحدثه حرف النون المتكرر من نغم إيقاعي متميّز.

ومنها التصريع الذي ورد كثيراً في شعره، كقوله[2]:

ما للقلوبِ سوى الحبيب أنيسُ
هو للفؤادِ مُنادمٌ وجليسُ

نجد التصريع هنا يزيد من قوة الإيقاع، وقد جاء مع تكرار حرف السين الهادىء، وهو حرف مهموس يزيد من قوة الرنين.

(١) الديوان: قافية النون.
(٢) الديوان: قافية السين.

وقوله[3]:

أحْباب قلبي ناوا فالدّمعُ يَستَبِقُ
وكمْ سألتُهُمْ رفقاً فما رَفقوا

ومن التكرار قوله[4]:

أهَيْلَ الحِمى بِنْتُمْ فدَمْعي مُطلَقُ
وقَلْبيَ قد ضاقَتْ عليهِ شُجُونُهُ
أهَيْلَ الحِمى لا أوْحَشَ اللهُ مِنْكُمُ
لقد كُنتمُ للرَّبْعِ زَيْناً يُزينُهُ

استطاع الشاعر أن يوفِّر لهذا النصّ جوّاً موسيقياً يشتدُّ وقعه، ويتلاحق تأثيره من خلال هذا الصدى المتتالي لحركة الأبيات الإيقاعية المتمثِّل بتعاقب عبارة(أهَيْلَ الحِمى) على نحو منتظم، ومع ما يشكِّله هذا التكرار من تناغم إيقاعي متواصل فإنَّه يوحي بنبرة الحزن والانكسار التي تسيطر على النص برمّته.

رابعاً . الخيال والصورة:

استعان شمس الدين الواعظ بالبيان في خلق الصور، وعرض المعاني معتمداً في ذلك على خياله الخصب الذي أتاح له انتزاع الصور التي يراها أكثر ملائمة مع الفكرة التي يبسطها، فهو حين يشا تصوير لوعته وغرامه يستحضر صورتي المداد والطروس وهما أكثر مناسبة من غيرهما للحالة التي يمرُّ بها[5]:

كمْ قد كتبتُ إليه قصّة غُصَّتي
بمِدادِ دَمْعي، والخُدُودُ طُرُوسُ

إنّه يشبّه دموعه التي تجري على خدّه بالمداد الذي غطّى الطروس.

وشعر شمس الدين لا يكاد يخلو من تشبيه مليح، أو استعارة جميلة، أو كناية مستظرفة، فمن جميل تشبيهاته، قوله[6]:

وتَرَى البهارَ كعاشقٍ مُتخوِّفٍ
مُتَشوِّقٍ بادٍ بوَجْهٍ أصفرِ

في هذا البيت يصف الشاعر البهار، وهو نباتٌ بري يصطبغ زهره باللون الأصفر، ولم يجره الشاعر على حقيقته، وإنّما أجراهُ على التعبير الخيالي حين عقد مشابهة بين البهار وبين شبه له في الاصفرار، وهو العاشق المتيّم الخائف الذي أنحله هواه، فرط الصبابة، وشدّة الوجد، فغدا مصفرَّ الوجه، وهو تشبيه مركب.

(٣) الديوان: قافية القاف.
(٤) الديوان: قافية النون.
(٥) الديوان: قافية السين.
(٦) الديوان: قافية الراء.

ومن جميل تشبيهاته[١]:

والطَّلُّ مِنْ فوقِ الرياضِ كأنَّهُ
دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أخضرِ

فهو في هذا البيت يشبّه المطر وهو يتساقط على الرياض التي اكتست الأرض بخضرتها بدرر الفضة، وقد نثرت على بساط أخضر.

ومن خلال الأمثلة التي سقناها نجد أن الشاعر لم يتعمّق في تشبيهاته إلا أنها جاءت خفيفة الظل، جميلة الوقع.

ومن جميل استعاراته[٢]:

٢- تَعَطَّفْ على صَبٍّ كئيبٍ مُتَيَّمٍ
ذليلٍ بأذيالِ الرَّجا يَتَشَبَّثُ

نجد في هذا البيت تعبيراً لم يستعمله الشاعر على حقيقته، وهو (أذيال الرجاء)، فقد شبّه الرجاء بالثوب حين جعل له أذيالاً على سبيل التخييل، والأذيال أطراف الثوب أو بقيته، والشاعر هنا يريد أن يتشبث ببقايا الرجاء لعلّه ينال رضا محبوبه.

ومن استعاراته[٣]:

مَددتُ إليكَ كفَّ الذلِّ فارْحَمْ
مُحبّاً مَدَّ نَحْوَ نَدالَ كفا

لقد أثبت الشاعر للذلّ كفّاً، ومعلوم أنّه ليس هناك أمرٌ ثابت حسّاً أو عقلاً تجري الكف عليه، ولكنه لمّا شبّه الذل بالإنسان أثبتَ له كفّاً على سبيل التخييل مبالغة في تشبيهه به.

وقوله[٤]:

بِهَجْرِكَ سيِّدي مَزَّقتَ قلبي
ومزَّقَ الهجْرُ شيءٌ ليسَ يرْفا

في هذا البيت يبدأ شمس الدين الصورة بابراز مظاهر الوجد وألم الفراق، حيث استعار التمزيق للقلب لإظهار لوعة الأسى بالهجر؛ لأنَّ التمزيق على وجه الخصوص هو تخريق الثوب وتبديده بقرينة (يرفا) وقد استعاره لما يتضمن التمزيق على وجه الخصوص، وهو ما اتفق من تمزيق الثوب.

وقوله[٥]:

حَريقُ الشَّوقِ في قلبِ المُعنّى
إذا شئتُمْ بماءِ الوصلِ يُطفا

استعار الماء للوصل؛ لاشتماله على ما يحبُّه الموصول لهواه، والمحترق بنار حبِّه على حدٍّ سواء، فتكون استعارة تخيلية في قوله تابعة للمكنّى عنها بالماء نفسه؛ لأنّ الوصل والوداد قد يطفيء نار الشوق، وحرارة الغرام، كما أنّ الماء يبرّد غليل الأوام.

ومن جميل كناياته قوله[٦]:

ظَهَرتْ مُعْجِزاتُ خَدِّكَ لمّا
جَمَعَتْ وجْنتاكَ ماءً ونارا

كناية عن تورّد خدّه، وظهور الحمرة فيه، فهو لم يرد المعنى الحقيقي فعدل به إلى معنًى آخر، وهي كناية عن صفة.

وقوله[٧]:

وتَجَلَّتْ بِنْتُ الدنانِ عَرُوساً
فَجَعَلْنا لها القلوبَ نِثارا

فبنت الدنان كناية عن الخمرة، وقد حذف المكنّى عنه وهو الخمرة، وذكر بما يرمز إليه، ولمّا كان المكنّى عنه اسماً يوصف ولا يوصف به فالكناية هنا عن موصوف.

٤- بديعُهُ:

عاشَ شمس الدين الواعظ في عصرٍ شاعَ فيه استعمال البديع وكثر؛ وقد أكثر الشعراء من استعمال هذا الفن، فتهافتوا عليه، وأودعوه في تضاعيف شعرهم.

لقد أولع شمس الدين بالمحسنات اللفظية والفنون البديعية كغيره من شعراء عصره، دون أن يسرف فيها، ولم يكثر، ولم يجعلها سمة بارزة في شعره: كالجناس، والطباق، والسجع، والترصيع..... فمن الطباق الذي ورد في شعره، قوله[٨]:

يُميتُ ويُحْيي بالصُّدُود وبالرِّضا
ففي كُلِّ يومٍ لي مَماتٌ ومَبْعَثُ

وقوله[٩]:

فدمي حلالٌ إنْ أردتُ سواكمُ
والعَيْشُ بعدكمُ عليَّ حَرامُ

لقد جمع في هذين النصين بين ضدين مختلفين في المعنى (يميت، يحيى، الصدود، الرضا، ممات، مبعث، حلال، حرام).

ومن شعره الذي جاء رافلاً بالسجع، قوله[١٠]:

والشِّرْكُ مُنْجَبِرٌ، والمُلْكُ مُنْكسِرٌ
والحَقُّ مُستترٌ، والسِّتْرُ مُنْهَتِكُ

وقوله[١١]:

---

(١) الديوان: قافية الراء.
(٢) الديوان: قافية الثاء.
(٣) الديوان: قافية الفاء.
(٤) الديوان: قافية الفاء.
(٥) الديوان: قافية الفاء.
(٦) الديوان: قافية الراء.
(٧) الديوان: قافية الراء.
(٨) الديوان: قافية التاء.
(٩) الديوان: قافية الميم.
(١٠) الديوان: قافية الكاف.
(١١) الديوان: قافية القاف.

بـانوا فَجَفْنـيَ مَقـروحٌ، ودمعـي مَسْفوح
وقلبـــيَ مجـــروحٌ ومُحْتـــرقُ

وقوله وفيه من الجناس التام[1]:

ديـارهم دُرِسَـتْ مِـنْ بَعـدما دَرسـتْ
نَفـسي بهـا مِـنْ تلاقينـا تلاقينـا

فقد جانس بين كلمتي (دُرست، ودرست)، و(تلاقينا، وتلاقينا).

ومن الجناس التام أيضاً قوله[2]:

إنْ لـمْ تُقـرِّحْ أدْمُعـي أجْفـاني
مِـنْ بعْـدِ بُعـدِكم فمـا أجْفـاني

فقد جانس بين (أجفاني) الأولى بمعنى الجفون، وبين لفظة (أجفاني) الثانية التي جاءت بمعنى الجفاء.

ومن حسن الاتفاق قوله[3]:

يـا عُـصْبةَ الإسـلامِ نُـوحي والطمـي
حُزنـاً علـى مـا حـلَّ بالمُسْتعـصمِ
دَسْـتُ الـوزارةِ كـانَ قبـلَ زمانـه
لابـنِ الفـراتِ فـصارَ لابـنِ العلقمـي

فقد اتفق أن المذكورين كانا وزيرين ـ كما يقول الحموي ـ وإنّ المورى بهما (الفرات، والعلقمي) وهما نهران معروفان، وقد طابق الناظم بينهما بالفرات الحلو، والعلقم المرّ.

ومن الاكتفاء وهو (أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر قافيته متعلّقة بمحذوف فلم يفتقر إلى ذكر المحذوف؛ لدلالة باقي لفظ البيت عليه، ويكتفي بما هو معلوم في الذهن مما يقتضي تمام المعنى)[4] قوله مع روعة الاقتباس[5]:

خُنْـتَ العُهُـودَ ومـا رَعَيْـتَ مَـوَدَّتي
هـذا، ولا راقَبْـتَ سـالِفَ صُـحْبَتي
وسَـمِعتَ مـا قـالَ الوشـاةُ تَخَرُّصـاً
فغـدَرْتَ بـي (وفَعلْـتَ فعلتَـكَ التـي)

لقد حذف الشاعر صلة الموصول في الشطر الأخير بعد قوله (التي) وهو وإن عُدَّ خروجاً على قواعد اللغة إلاّ أنَّ لـه مـا يسوّغ له من حيث أنّه لون بديعي معروف، وقد زاد في جمالية النصّ هذا الاقتباس الرائع في قوله تعالى ﴿**وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ**﴾ [سورة الشعراء:١٩].

(١) الديوان: قافية النون.
(٢) الديوان: قافية النون.
(٣) الديوان: قافية الميم.
(٤) خزانة الأدب: ٣١٤/٢.
(٥) الديوان: قافية التاء.

وفي قوله أيضا[6]:

ولـــو أنَّ أيـــوبَ فـــي عَـــصْرِنا
وقـــد مَـــسَّهُ بـــالأذى البـــاردُ
لجـــاءَ إلينـــا فحمَّامُنـــا:
شَـــرابٌ، ومغتـــسَلٌ بـــاردُ

مستمد من قوله تعالى ﴿**ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هذا مُغْتَسَلٌ بارِدٌ وَشَرابٌ**﴾ [سورة ص، الآية: ٤٢].

ومن الاقتباس أيضاً قوله[7]:

وتَـرَى النّـاسَ مِـنْ عَـذابٍ بجَـسَدٍ
سُـكارى، ومـا هُـمْ بـسُكارى

ماخوذ من قوله تعالى ﴿**وَتَرَى النَّاسَ سُكارى وَما هُمْ بِسُكارى**﴾ [الحج: ٢].

ومن التضمين قوله[8]:

قِـفْ فـي ديـار الظـاعنين ونادهـا:
(يـا دارُ مـا صَـنَعَتْ بِـكِ الأيّـامُ)

فقد ضمن شعره صدر بيت لأبي نواس وهو[9]:

يـا دارُ مـا فعلـت بـكِ الأيـامُ
ضـامتكِ والأيـام لـيس تـضامُ

ومن التضمين أيضاً قوله[10]:

إنّـي جَعَلـتُ رَسُـولي مَـنْ كلفـتُ بِـه
وقـد كتَبْـتُ بمـا القـى مِـنَ الوَصَـبِ
فـدَعْ كتـابي، وسَـلْ عَنِّـي لواحظَـهُ
(فالـسيفُ أصـدقُ أنبـاءً مـنَ الكُتُـبِ)

فقد ضمّن شعره صدر بيت لأبي تمام، وهو[11]:

الـسيفُ أصـدقُ أنبـاءً مِـنَ الكُتُـبِ
فـي حـدِّهِ الحـدُّ بـين الجـدّ واللعـبِ

ومن التورية قوله[12]:

ومـا زلـتُ شـيعيّاً إلـى أن انَـوْا بهـا
عَتيقـاً، فنادَيْـتُ العَتيـقَ المقَـدَّمُ

وقعت التورية كأحسن ما يكون في العتيق، وهي تحمل في طياته معنيين الأول قريب وهو الخمر المعتق، وهو المورّى به، والمعنى البعيد (أبو بكر وهو من أسمائه في الجاهلية) وهو المورّى عنه وهو مراد الشاعر بقرينة (شيعياً).

(٦) الديوان: قافية الدال.
(٧) الديوان: قافية الراء.
(٨) الديوان: قافية الميم.
(٩) ديوان أبي نواس: ٤٠٧.
(١٠) الديوان: قافية الباء.
(١١) ديوان أبي تمام: ٩٦/١.
(١٢) الديوان: قافية الميم.

ومن التورية أيضاً قوله في محب الدين مصدّق، أحد علماء المستنصرية، وكان ممتعاً بإحدى عينيه[1]:

حنابلةُ المستنصريّةِ قد بُلُوا
بدرسٍ جهولٍ بالجهالة يَنطقُ
ولا غروَ إن صُبّ العذابُ عليهمُ
إذ الأعورُ الدّجالُ فيهمُ مصدّقُ

في البيت الثاني يردُ اللفظ مفرداً هو (مصدّق) وفيه التورية؛ فمصدّق من التصديق، وهو المعنى القريب المورّى به، ويحتمل اسم الرجل محبّ الدين مصدّق وهو المعنى البعيد المورّى عنه، وواضح أنّه أراد هذا المعنى الذي تتسق به فكرة النص الرئيسة، وتتكامل صورته العامة؛ ولولا ذكر الأعورُ الدّجالُ قبله لم يتنبّه المتلقي إليه؛ لأنّ محبّ الدين مصدّق كان كريم العين.

منهج الجمع:

لسنا نعلم على وجه التحقيق هل لشمس الدين الكوفي ديوان شعر أم لا؟، فقد خلت المصادرُ من أية إشارة إلى ديوانه، وكلّ ما ذكرته عنه أنّه أحد الشعراء المكثرين، وشعره الذي وصل إلينا متناثر في بطون الكتب (لا ندري من أين جاءها هذا الشعر!، أأخذته من ديوان له، كان موجوداً بين يدي مؤلّفيها، أم من صحف متفرّقة كانت عند تلامذته ومحبّيه الذين عاشُوا بعده ردحاً من الزمن)[2]، وقد حاولتُ جاهداً البحث عن ديوانه إلاّ أنني لم أجد لما أبتغي أثراً، ويبدو أنه ضاع كما ضاع غيره، وبذلك قد خسرنا سجلاً مهماً ربّما حوى كثيراً من القضايا والأمور التي تتعلّق بحياة الشاعر، وطبيعة عصره ومجتمعه.

وإذا كنّا لم نعثر على ديوانه فإنّ ما وصلَ إلينا من شعره لا يمثّل شعره كلّه، ومن غير شكّ ضياع قسم كبير منه؛ لأسبابٍ تتعلّقُ بطبيعة نقله، أو روايته، وقد بقيت منه بقيّة احتفظتْ بها كتب التاريخ والأدب، ونحن لا ننكر ضياع نماذج من فنون الشعر المستحدثة كالزجل والكان وكان[3].

وهذا الذي نخرجه من شعره هو جمعٌ لما تفرّق من شعره الذي أوردته مصادر ترجمته، إذ لم يَتَصدَّ أحدٌ لجمعه وتحقيقه، وقد أخذتُ على نفسي جمع شعره، فصنعتُ منه ديواناً، وكان منهجي في جمع شعره كالآتي:

١- قمتُ بترتيب الأشعار حسب التسلسل (الألف بائي) مراعياً في ذلك الحركات، ثمّ بيّنتُ البحور لكلّ قطعةٍ شعريةٍ.
٢- ضبطتُ النّصَّ بالشكل، وشرحتُ بعض المفردات الصعبة معتمداً في ذلك على المعجمات اللغوية
٣- جعلتُ المتن خالصاً للشعر، وجعلت في الهامش تخريج الأشعار.

الخاتمة

ومن كل ما تقدَّم نستطيع القول: إنّ شمس الدين الكوفي شاعرٌ مبدع يمتلك قدرة عالية في النظم على التعبير عن مشاعره وعواطفه، وقد نظم في أكثر الأغراض التي كانت معروفة في عصره: كالرثاء، والغزل، والوصف... وقد برع في الرثاء، وكان لبغداد وما أصابها من دمارٍ وخراب نصيبٌ كبير من رثائه، ومن الطبيعي أن يكثر شمس الدين من رثاء بغداد وندب أهلها والتفجُّع عليهم؛ فبغداد دار الخلافة، ومنار العلم، وموئل العزّ، وفي بغداد يجد الشاعر نفسه بين أهله وأحبابه وأصحابه الذين افترسهم الموت واحداً تلو الآخر فمضى بقلب مكمد، ونفس محزون يندبهم ندباً حاراً.

ومن خلال دراسة شعره وجدناه شعراً ناضجاً مكتملاً من جميع وجوهه الفنية، محكم البناء، متين العبارة، رقيق اللفظ فصيحه مع وضوحٍ في المعنى، وسهولة في التعبير.

وكان فيما أبرزه البحث أنّ شعره الذي وصل إلينا متناثرٌ في بطون الكتب لم يتصدَّ أحد لجمعه وإخراجه بما يعين الباحث للإفادة منه، وكان لزاماً علينا - ونحن ندرس شعره - أن نسعى إلى جمع هذا الشعر وإخراجه محققاً ليضيف شيئاً إلى تراث الأمة، وسفرها الخالد.

الديوان

(الباء)

قال شمسُ الدين الواعظ الكوفي متغزّلاً[4]: [الوافر]

إذا دارتْ حُميّا اسمِ الحبيبِ
تَرى العُشّاقَ في طربٍ وطيبِ
تراضعنا بكأسِ هواكَ صدفاً
فدارَ الكأسُ فينا يا حبيبي
وحقِّكَ يا حبيبي ما أبالي
إذا ما كنتَ في الدُّنيا نصيبي
مريضُ هواك يستعطي دواءً
أللمَرْضى سوى بابِ الطبيبِ؟
سموْنا في هُداك على البرايا
وحقّك لا التفاتَ إلى الرقيبِ

(١) الديوان: قافية القاف.
(٢) الأدب العربي في العصر الوسيط: ١٧٤.
(٣) ينظر: العاطل الحالي: ١١٥، وخلاصة الأثر: ١٣٢/١.
(٤) الأبيات في الدّر الفريد وبيت القصيد (خ): ١٠٨/٥.

يجـولُ الوجـدُ فـي أرجـاءِ قلـبٍ
تَـصبَّرهُ مـن العجـبِ العجيـبِ
تَجـوْهرَ فـي الهـوى فـصفا وأحـسى
سـواءً فـي الحـضورِ، وفـي المغيـبِ
ترفّـقْ أيُّهـا الـسّاري بليلـى
رَمَيْـتَ القلـبَ بالـسَّهْمِ المُـصيبِ
أعـرّضُ عـنهم جَهْـدي وأكنـي
ومـا تُخفـى إشـاراتُ المُريـبِ
وأشـدُو بالكثيـبِ وأرضِ نَجْـدٍ
ومـا غَرَضـي سِـوى أهـلِ الكثيـبِ

وقال[1]: [الطويل]

لـه اللهُ مـا أحـلاهُ فـي العـينِ والقلـبِ
وأشْـهاهُ فـي بُعـدِ المـزارِ، وفـي القـربِ
رحـيمٌ، وأمـا اللحـظُ منـهُ فللظُّبـا
وأمّـا تثنّيـه فللغـصْنِ الرَّطـبِ
إذا مـا جـلا الثغـرُ ابتـساماً تَزَاحَمـتْ
نواظرُنـا فيـه علـى مـوردٍ عَـذْبِ
يـشوقُ ويُلْهـي إنْ تكلّـم أو رنـا
فألفاظُـهُ تُـصبي، وألحاظُـهُ تَـسْبي
ألا يـا مليحـاً أصـبحَ الحُـسنُ ثوبَـهُ
وأمسى الهوى والحـزنُ فـي حُبِّـهِ تِرْبـي
لـئن كـان ذنبـي أنّنـي لـك عاشـقٌ
فـأيُّ ذنـوبِ النّـاسِ أحـسنُ مـن ذنبـي

وقال، وقد كتبه على يد معشوقه إلى أحد الأعيان[2]: [البسيط]

إنّـي جَعَلْـتُ رَسُـولي مَـنْ كلفـتُ بِـهِ
وقـد كتَبْـتُ بمـا ألقـى مِـنَ الوَصَـبِ
فـدَعْ كتـابي، وسَـلْ عَنّـي لواحظُـهُ
فـ (السيفُ أصدقُ أنباءً مِنَ الكُتُبِ)[3]

(التاء)

وقال لمّا شاهد تُرب الرصافة وقد نبش التتار قبور الخلفاء، وأحرقوا تلك الأماكن وأبرزوا العظام والرؤوس[4]: [الخفيف]

إنْ تُـردْ عِبْـرَةً فتلـكَ بنـو العـ
ـبّاسُ حلّـتْ علـيهم الآفـاتُ
اسْـتُبيحَ الحـريمُ إذ قُتِـلَ الأحـ
ـياءُ مِـنْهُم، وأحْـرقَ الأمْـواتُ

وقال في العتاب[5]: [الكامل]

خُنْـتَ العُهُـودَ ومـا رَعَيْـتَ مَـوَدَّتي
هـذا، ولا راقَبْـتَ سـالِفَ صُـحْبَتي
وسَـمِعتَ مـا قـالَ الوشـاةُ تَخَرُّصـاً
فغـدَرْتَ بـي (وفَعلْـتَ فعلتَـكَ التـي)[6]

(الثاء)

وقال[7]: [الطويل]

إلـى كـمْ بـأرْواحِ المُحِبِّـينَ تَعْبَـثُ
علـى البحْـرِ كَـمْ تَبْقـى النّفـوسُ وتَمْكـثُ
تَعَطَّـفْ علـى صَـبٍّ كئيـبٍ مُتَـيَّمٍ
ذليـلٍ بأذيـالِ الرَّجـا يَتَـشَبَّثُ
يَـرَاكَ فيقـضي خِيفـةً ومَهابـةً
وحاجاتُـهُ فـي صَـدْرِهِ تتحـدَّثُ
ومـا كـانَ قَبْـلَ اليـوم يَعلَـمُ مـا الخبـا
فعلَّمَـهُ الواشُـونَ والعَيْـبُ يَحْـدثُ
ومـاذا عليـه لـوْ تَـصَدَّقَ زائـراً
وكُنّـا خلونـا سـاعةً نتحـدَّثُ
يُميـتُ ويحْيـا بالـصُّدُود وبالرِّضـا
ففـي كُـلِّ يـومٍ لـي مَمـاتٌ ومَبْعَـثُ
وقـد ظهـرَ المَكْتُـومُ وانْكـشَفَ الغطـا
ومـاذا عَـسَى الواشُـونَ أنْ يَتَحـدَّثوا؟
وإنّـي فـي عِلْـمِ الهَـوَى مُتَفـرِّدٌ
علـيَّ دُروسُ الحُـبِّ تُمْلـى وتُبْحَـثُ
وتظهـرُ أشـجانُ المُحِبِّـينَ شَـجْوَهُمْ
كـذا رُؤيَتـي، والوجـدُ للوجـدِ يُبْعَـثُ

(الدال)

وقال يذمُّ حمام المستنصرية بأنّه بارد[8]: [المتقارب]

---

(١) الأبيات في عقود الجمان (خ): ٣٢٥.

(٢) البيتان في الحوادث الجامعة: ٣٩١.

(٣) صدر البيت لأبي تمام، وعجزه هو: في حدّه الحدُّ بين الجدّ واللعب. ديوان أبي تمام: ٩٦/١.

(٤) البيتان في الحوادث الجامعة: ٣٣٥.

(٥) البيتان في عيون التواريخ: ١١١/٢١، وتاريخ ابن الفرات: ٧٣/٧.

(٦) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين﴾ سورة الشعراء: ١٩.

(٧) الأبيات في عيون التواريخ: ١٠٨/٢١-١٠٩، وتاريخ ابن الفرات: ٧٢/٧.

(٨) البيتان في الحوادث الجامعة: ٣٩١.

ولـــو أنَّ أيـــوبَ[1] فـــي عَـــصْرِنا
وقـــد مَـــسَّهُ بـــالأذى البـــاردُ
لجـــــاءَ إلينـــــا فحمَّامُنـــــا:
شَـــــرابٌ، ومغتـــــسَلٌ بـــــاردُ

وقال يرثي تاج الدين علي بن عبدوس[2]: [الوافر]

أرى الـــدّنيا تـــؤولُ إلـــى نفـــادِ
ونحـــنُ لهـــا بأنفـــسِنا نُفـــادي
ونعلـــمُ أنّهـــا تفنـــي وتفنـــى
ونطلبُهـــا بجـــدٍ واجتهـــادِ
ونُـــصلحُها وتُفـــسدُنا ونـــدري
بـــأنَّ صـــلاحَها عَـــيْنُ الفـــسَادِ
وقـــد أزفَ الرَّحيـــلُ، وعـــنْ يَـــسيرٍ
يَـــسيرُ الغـــافلونَ بغيْـــرِ زادِ
هِـــيَ الأمُّ التـــي قتلـــتْ بنيهـــا
فحاذرهـــا مُحـــاذرةَ الأعـــادي
ومـــا فعلـــتْ بتـــاجَ الـــدين[3] يكفـــي
إذا فكـــــرت فكـــــرة انتقـــــادِ
لقـــد ســـلبته أحـــسنَ مـــا رآهُ
يـــسرُّ بحُـــسْنِهِ أهـــلُ الـــودادِ
أتـــاجَ الـــدين كُنـــتَ أخـــي وركنـــي
فبعـــدكَ بالإخـــاءِ لِمَـــنْ أنـــادي
أيـــا ابـــنَ أبـــي قطّعْـــتَ نيـــاطَ قلبـــي
بـــــاحْزانٍ وأســـــيافٍ حِـــــدادِ
أتـــاجَ الـــدينِ قـــد أفنيـــتَ صـــبري
وكنـــتَ علـــى الخطـــوبِ مِـــنَ الجـــلادِ[4]
فلـــو كـــانَ التلاقـــي بعـــد شـــهرٍ
لكنـــتُ أضـــجُّ مَـــن طـــولِ البعـــادِ
فكيـــفَ، ولـــيسَ فـــي الـــدُّنيا تـــلاقٍ
وميعـــاد التلاقـــي فـــي المعـــادِ
أردتُ بـــأنْ أنـــالَ بـــهِ سُـــرُوري
فمـــاتَ، ومـــا بلغـــتُ بِـــهِ مُـــرادي
رحلـــتَ وقـــد ســـلبتَ جميـــلَ صـــبْري
وســـرْتَ فـــسارَ عَـــنْ جَفنـــي رُقـــادي
فحزنُـــكَ كـــلُّ يـــومٍ فـــي انتقـــاصٍ
وحُزنـــي كـــلّ يـــومٍ فـــي ازديـــادِ
سُـــرورُكَ عنـــدَ مولانـــا علـــيٍّ[5]
وحُزنـــي عنـــد مُوســـى[6]، والجـــوادِ[7]
وحُزنـــي قـــد يخففُـــهُ يقينـــي
بأنَّـــكَ قـــد قـــدمتَ علـــى الجـــوادِ

وقال متغزلاً[8]: [الطويل]

إليـــكَ إشـــاراتي، وأنْـــتَ مُـــرادي
وإيّـــاكَ عَنّـــي عِنْـــدَ ذكْـــرِ سُـــعادِ
وأنـــتَ مُثيـــرُ الوَجْـــدِ بَـــيْنَ أضـــالعي
إذا قـــالَ حـــادٍ، أوْ تَـــرَنَّمَ شـــادي
وحُبِّـــكَ ألقـــى النـــارَ بَـــيْنَ جَـــوَانحي
بقَـــدْحِ وادٍ، لا بقـــدْحِ زِنـــادِ
خليلـــيَّ كُفَّـــا عَنّـــيَ العَـــذلَ واعْلمـــا
بـــأنَّ غرامـــي آخـــذٌ بقيـــادي
ولـــذّةُ ذكْـــري للعَقيـــقِ وأهْلِـــهِ
كلـــذّةِ بَـــرْدِ المـــاءِ فـــي فـــمِ صـــادي
طَربْنـــا بتعْـــريضِ العـــذولِ بـــذكْرِكُمْ
فـــنحن بـــوادٍ، والعـــذولُ بـــوادِ

(الراء)

وقال يرثي فخر الدين عيسى بن أبي الفتح الإربلي[9]: [الطويل]

١- لقد كانَ فخرُ الدين بحرَ فضائلٍ
ولـــمْ نَـــرَ بَحْـــراً قبلـــه ضـــمَّهُ القبـــرُ
٢- كـريم الـسَّجايا هـذبَ الجُـودُ نفسَهُ
إلـى أن تَـساوى عِنْـده التُّـربُ والتِّبْـرُ

وقال متغزّلاً[10]: [الخفيف]

وعـــدَ البَـــدْرُ أنْ يَـــزُرَ فَـــزَارا
وقَـــسَا مُعْرضـــاً، ولانَ اعْتـــذارا

---

(١) يريد نبي الله أيوب - عليه السلام-.
(٢) القصيدة في الحوادث الجامعة: ٣٨٨.
(٣) تاج الدين هو علي بن عبدوس، كان رجلاً وجيهاً من كبار المتصرّفين، مات سنة ٦٧٤هـ ينظر عنه: الحوادث الجامعة: ٣٨٧.
(٤) الجلاد -بكسر الجيم-: الصبر على المكروه.
(٥) يريد بمولانا علي الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام-.
(٦) هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -عليه السلام- كان من سروات أهل البيت زهداً وتقى وعلماً، مات في سجن الرشيد سنة ١٨٣هـ ينظر في ترجمته: تاريخ بغداد: ١٤/١٥، صفوة الصفوة: ١٨٤/٢، وفيات الأعيان: ٣٠٨/٥-٢١٠، ميزان الاعتدال: ٣٠١/٤، كنوز الذهب: ٢٩٧/٢.
(٧) يريد بالجواد الإمام محمد بن موسى الكاظم -عليه السلام-.
(٨) الأبيات في كشكول البهائي: ٢٩٧/١، وكشكول القديحي: ٢١١.
(٩) البيتان في مجمع الآداب: ١٠٢/٣.
(١٠) الأبيات في تأهيل الغريب: ٤٣١-٤٣٢.

جَـــرّدَتْ مُقلتـــاهُ سَـــيْفاً صَـــقيلاً
وتَثَنَّـــى قَوَامُـــهُ خَطَّـــارا
يـــا غَـــزَالاً كُناسُـــهُ كُـــلَّ قَلـــبٍ
أوْ مـــا تنْتظُـــرُ الأســـودَ إســـارا
وتَـــرَى النّـــاسَ مِـــنْ عَـــذابٍ بجَـــسَدٍ
سُـــكارى، ومـــا هُـــمْ بـــسُكارى[1]
ظَهَـرتْ مُعْجـزاتُ خَـدِّكَ لمّـا جَمَعَـتْ
وجْنتـــاكَ مـــاءً ونـــارا
لـــي عَـــنْ أيْمـــنِ الخيـــامِ حَبيـــبٌ
مـــا تَـــرَاهُ للبـــدْرِ إلاّ تَـــوَارى
لَـــيْسَ يَهْـــوى الـــشفاهَ إلاّ صِـــغاراً
ويُحـــبُّ الكئُـــوسَ إلاّ كبـــارا
وتَجَلَّـــتْ بِنْـــتُ الـــدنانِ عَرُوســـاً
فَجَعَلْنـــا لهـــا القلـــوبَ نثـــارا

وقال يرثي ركن الدين محمد بن حيدر العلوي نقيب الأشراف بالموصل، وكان النقيب قد سقط بفرسه إلى دجلة ببغداد، عند اجتيازه الجسر سنة ٦٧٤هـ[2]: [الكامل]

ألقـــاهُ فـــي المـــاءِ الجـــوادُ كأنّـــهُ
بـــدرٌ هَـــوَى فـــي جَنْـــدَلٍ مُتَمَـــوِّرِ
أمـــواجُ دجلـــةَ أغرقتَـــهُ إذ طغـــتْ
وكـــذا الطغـــاةُ علـــى الأكـــارمِ تَجْتَـــري
ولقـــد تكـــدَّرَ صَـــفوُها مِـــنْ بعـــدها
ومتـــى صـــفتْ لهُـــمْ، ولـــم تتكـــدَّرِ
بـــاللهِ هـــلْ أغرقتَـــهُ شـــغفاً بـــهِ
يـــا مـــاءُ، أو حَـــسَداً لمـــاءِ الكـــوثرِ
هـــلاّ رحمـــتَ شـــبابه وتركتـــه
مِـــنْ أجْـــلِ ولْهَـــى فيـــهِ ذات تَحيُّـــرِ
أو مـــا علمْـــتِ بأنّـــهُ رَحِـــبُ الفَنـــا
والـــصدرُ عـــذبُ اللفـــظِ حلـــوُ المنظـــرِ
يـــا مـــاءُ مـــا أنْـــصَفْتَ آلَ محمّـــدٍ
وعلـــى كمـــالِ الـــدينِ كنـــتَ المُجتـــري
فـــي الطـــفِ لـــم تُـــسْعِدْ أبـــاهُ بقطـــرَةٍ
واليـــوم قـــد أغرقتَـــهُ فـــي أبحـــرِ
غاصُـــوا عليـــهِ وأخرجُـــوهُ مُعظّمـــاً
ومُكرَّمـــاً، وكـــذا نفـــيسُ الجَـــوْهَرِ

(١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ [الحج:٢].
(٢) الأبيات في الحوادث الجامعة: ٣٨٨.

والله مـــا نُزِعَـــتْ ملابِـــسُ جِـــسْمِهِ
حتّـــى تبختَـــرَ فـــي الحريـــرِ الأخـــضرِ
فالـــشرقُ يظمئُنـــي إليـــه وكلمّـــا
حاولـــتُ شُـــرْبَ المـــاءِ زادَ تكـــدُّري
يـــا نَفـــسُ ذوبـــي حَـــسْرةً وكآبـــةً
وتاسَّـــفي، وتلهّفـــي وتحـــسَّري
مـــا ذا يكـــونُ أغيـــر مـــا هُـــوَ كـــائنٌ
نـــزلَ القـــضاءُ: صـــبرتَ، أو لـــم تـــصبرِ

وقال يصف الربيع[3]: [الكامل]

روحُ الزمـــانِ هـــو الربيـــعُ فبكّـــرِ
وانْهَـــضْ إلـــى اللـــذاتِ غَيْـــرَ مُنكّـــرِ
هـــذا الربيـــعُ يَبيـــعُ مِـــنْ لذاتـــه
أصـــنافَ مـــا تَهْـــوى، فـــأيْنَ المُـــشتَري؟
فـــافرَحْ بِـــهِ؛ فَلفرْحَـــة بقدُومـــه
رَفَـــلَ الـــشقَائقُ فـــي القَبـــاءِ الأحْمَـــرِ
والكـــوْنُ مُبْـــتَهِجٌ، وخفّـــاقُ الـــصَّبا
يُحْيـــي القلـــوبَ بِنَـــشْرِهِ المُتعطِّـــرِ
والغَـــيْمُ يَبْكـــي، والأقـــاحي باســـمٌ
لبُكائـــه كتبـــسُّمِ المُسْتَبْـــشِرِ
والـــسَّرْوُ إنْ عَبِـــثَ النَّـــسيمُ فَهَـــزَّ أعـــ
ـــطافَ الغُـــصُونِ يَمِـــيسُ مَـــيْسَ مُـــوَقَّرِ
وكأنمـــا القـــدّاحُ فـــسْتقُ فِـــضَّةٍ
يُهْـــدي إليـــكَ أريـــجَ مِـــسْكٍ إذفَـــرِ
وكأنَّمـــا المَنْثُـــورُ فـــي أثوابِـــه
ألـــوانُ يـــاقوتٍ أنيـــقِ المنظـــرِ
وتَـــرَى البهـــارَ[4] كعاشِـــقٍ مُتخـــوِّفٍ
مُتَـــشوِّقٍ بـــادٍ بوَجْـــهٍ أصـــفرِ
وكأنَّمـــا النـــارنجُ فـــي أوراقـــه الـــ
ـــقنديلُ، والأوراقُ شِـــبْهُ مُـــسَحَّرِ
وكأنَّمـــا الخـــشْخاشُ قـــومٌ جـــاءهم
خَبَـــرٌ يَـــسُرُّهُمُ بطيـــبِ المخبَـــرِ
فثنَـــوْا مَلابِـــسَهُمْ لِفـــرطِ سُـــرورهمْ
كـــي يَخلَعُـــوا فرحـــاً بقـــولِ المُخبِـــرِ
فتعلَّقـــتْ أذيالُهـــا بـــأكُفِّهِمْ
وتَعَلَّقَـــتْ أزْيَاقهـــا بـــالمَنْحَرِ

(٣) القصيدة في تأهيل الغريب: ٤٨٩، وحلية الكميت: ٣٦١، ونفح الطيب: ٥٦٥.
(٤) البهار بالفتح: نبت جعد له فقاحة صفراء تنبت أيام الربيع.

والطَّلُّ مِنْ فوقِ الرياضِ كأنَّهُ
دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أخضرِ
وتَرَى الرُّبى بالنُّورِ بَيْنَ مُتَوَّجٍ
ومُدَمْلَجٍ[1]، ومُخلخَلٍ، ومُسَوَّرِ
ورياضُها بالزَّهْرِ بين مُقرْطَقٍ[2]
ومُطوَّقٍ، ومُمَنْطَقٍ، ومُزنَّرِ[3]
والوردُ بين مُضعَّفٍ، ومُشَنَّفٍ
ومُكتَّفٍ، ومُلطَّفٍ لم يُهْصرِ[4]
والزَّهْرُ بين مُفضَّضٍ ومُذهَّبٍ
ومُرَصَّعٍ، ومُدَرْهَمٍ، ومُدَنَّرِ
والنثرُ بين مُطيَّبٍ ومُمَسَّكٍ
ومُعَطَّرٍ، ومُصَنْدَلٍ[5]، ومُعَنْبَرِ
والوُرْقُ[6] بين مُرَجَّعٍ ومُوَجَّعٍ
ومُفجَّعٍ، ومُسجَّعٍ في مِنْبَرِ
ومُغرِّدٍ ومُردِّدٍ ومعدِّدٍ
ومُبدِّدٍ في الخدْشِ ماءَ المحجَرِ

وقال يمدح عماد الدين عمر القزويني المتولّي على العراق والذي كان نائباً عن الأمير المغولي (قرابغا)، فلما قدم بغداد سنة ٦٥٦هـ عمّر المساجد والمدارس[7]: [البسيط]

لمّا اصطفاكَ لهذا الدين منزلُهُ
جَبَرْتَ منّا ومنهُ كلَّ مُنْكسرِ
جمعتَ عدلاً ومعروفاً ومعرفةً
والعدلُ ما زالَ منسوباً إلى عُمَرِ
أحيا المدارسَ من بعدِ الدروس بإلْـ
ـقاءِ الدُّروسِ حياةَ الأرضِ بالمطرِ
وعادَ كلُّ رباطٍ بعدما هُجرتْ
أرجاؤُهُ عامراً بالذكرِ والسَّهَرِ

(١) المدملج: ما لبس الدملج، وهو المعضد من الحلي. لسان العرب (مادة دمج).
(٢) المقرطق: ما لبس القرط الذي يعلق في شحمة الأذن.
(٣) المزنّر: الذي يشدّ الزنار على وسطه، والزنار حزام يشدّه النصراني على وسطه. المعجم الوسيط (مادة زنره).
(٤) الهصر: سقوط الغصن على الأرض.
(٥) مصندل: معطر، مأخوذ من الصندل وهو شجر خشبُه طيّب الرائحة. المعجم الوسيط (مادة صندل).
(٦) الورق: جمع مفرده ورقاء، وهي الحمامة.
(٧) الأبيات في تلخيص مجمع الآداب: ٤/٨٠١-٨٠٢.

(السين)

وقال[8]: [الكامل]

ما للقلوبِ سوى الحبيبِ أنيسُ
هو للفؤادِ مُنادمٌ وجليسُ
جَبَذ القلوبَ إلى هَواهُ جَمالُهُ
فكأنَّهُ للخَلقِ مغناطيسُ
لا يدرك المعقولُ لطفَ جمالَ مَنْ
أهوَى، فكيفَ يَنالُهُ المحسُوسُ
كمْ قد كتبتُ إليهِ قصّة غُصَّتي
بمِدادِ دَمْعي، والخُدُودُ طُرُوسُ
لم يُبْقِ دَمْعي وجنتي إلاّ عَسَى
يَوْماً لها قَدَمُ الحَبيبِ تَدُوسُ
دَمْعي بذكركَ مُطلَقٌ ومُسَلْسَلٌ
وصبابَتي وقفٌ عليكَ حَبيسُ
الناسُ عشّاقٌ، وأنتَ حَبيبُهُمْ
والكونُ ما شطّةٌ، وأنتَ عَروسُ
وحمالكَ كمْ نحِرَتْ نُحُورٌ دُونَهُ
وتطايَرَتْ عِنْدَ الدنوِّ رؤوسُ
أيقالُ لي: أتلفتَ نَفْسَكَ في الهَوَى
عَجَبي، وهلْ للعاشقينَ نفوسُ؟
جرّدتُ نفسي إذ علمتُ بأنّهُ
لا يَستَقيمُ الكيْسُ لي والكيسُ
وعكسْتُ حالي في العُيُونِ كأنّهُ
نقشُ الفصُوصِ صَوَبُهُ مَعكُوسُ
كم قالَ قومٌ، والحديثُ تعلّةٌ:
وادي العرُوسِ، وما هُناكَ عَرُوسُ
قد غَرَّهُمْ آل التوهُّمِ مثلما
غُرَّتْ بِصَرْحٍ قبلهُم بلقيسُ
يا مَنْ دعا أرْواحَنا فتبادرتْ
سبقاً، وحنَّ إلى النَّفيسِ نفيسُ
سارتْ إليكَ بنا أنياقنا فلا الـ
ـتقبيلُ يُعجِبُها، ولا التعريسُ
ومتى وصلنَ إليكَ يا كُلَّ المُنَى
ذهبَ العنا عنّا وزالَ البُؤسُ
العِيسُ تَشْتاقُ العقيقَ لساكنٍ
لولاهُ ما حنَّت إليه العيسُ

(٨) القصيدة في الحوادث الجامعة: ٣٨٧.

وقال في نكبة بغداد[1]: [الخفيف]

أينَ سارَتْ تُرَى حُدَاةُ العِيسِ
بحبيبي وواحدي وأنيسي؟
حينَ ساروا وحثوا الركبَ ولمْ يلـ
ـووا على راحةٍ، ولا تعريسِ
جَرَّعُوني مِنَ الفراقِ كؤوساً
مرّةً ما أمَرَّها مِنْ كؤوسِ
فتبدّلْتُ بَعْدَ عزٍّ بذلاً
وتبدلْتُ مِنْ نعيمٍ ببوسِ
وشَرابي دَمْعي وزادِيَ حُزني
وسقامي مِنْ بعدِهم مَلبُوسي
أنا أشكو أمراضَ حُزنٍ وشَوْقٍ
كَلَّ عُنْها عِلاجُ جالينوسِ
يا غُصُوناً غَرَسْتُها في فؤادي
وبماءِ المُنَى سَقَيْتُ غُرُوسي
عندما رمتُ أنْ أنالَ جناها
رميتُ بالذبولِ والتَّيْبيسِ
كُنْتُمْ للقلوبِ رُوحاً وللأو
طانِ روحاً وراحةً للنفوسِ
فدهاكم ما لوْ فدي لفداهُ
كُلّ شخصٍ بنفسِهِ والنَّفيسِ
مَنْ لنا أننا نَرَاكُمْ، ولوْ جئـ
ـنا إليكم وسعينا بالرؤوسِ؟
لوْ كتبنا ما قد لقينا مِنَ الحُزْ
نِ إليكُمْ لكانَ مِلءَ الطُّرُوسِ
ومغانٍ كانتْ بكم فرحاتٍ
بدِّلت بعد بُشرها بالعبُوسِ
ثمّ عاثتْ أيدي صروف الليالي
في الجنابِ الممنَّعِ المحروسِ
يا ديارَ الأحبابِ: ما صنعَ الدَّهْر
المُعادي برَبْعِكَ المأنُوسِ؟
أيْنَ تِلكَ الوجُوهِ فيكَ مُنيرات
حسان مضيئةٌ كالشموسِ؟
كُلُّ وجْهٍ كالشَّمسِ لكنْ سَرَى بيـ
ـنَ أوجٍ سعدٍ إلى حضيضِ النُّحُوسِ
قد وقفنا في الدار سكرى، ولكنْ
سُكْرُ حُزنٍ، لا سَكْرَةَ الخندريسِ

(١) القصيدة في فوات الوفيات: ١٠٤/٤، وعيون التواريخ: ١٣٨/٢٠-١٣٩.

حينَ أضحتْ عَواطلاً بعدما كا
نَتْ تُجْلى في زينةٍ كالعروسِ
ما انتفاعي مِنْ بَعْدِهم بوقوفي
في مَحَلٍّ بالٍ، ورسمٍ دَريسِ

(الشين)

وقال[2]: [الطويل]

تعالوْا نعيدُ الوَصْلَ لا كانَ مَنْ وَشَى
فحرُّ اشتياقي بعدكمْ قد حَشا الحَشَا
وبي رشا ما في البريةِ لائمٌ
نَهَى رُوحَهُ، والمالُ زالَ الرّشا رشا
عليَّ سخا بالوَصْلِ مِنْ بَعْدِ شُحِّه
ومِنْ بعدِ ما قد كانَ نَغَّشَ أنْعشا
وشَى باسْمِكَ الواشي إليَّ فَسَرَّني
وسَمعيَ يا مَوْلايَ لمّا وشَى وشا
حديثُكَ سِحْرٌ يملأ القلبَ نَشْوَةً
وعبدُكَ يا بَدْرُ الدُّجى إنْ تشا انْتَشا

(الصاد)

وقال في اعتزال الناس[3]: [الكامل]

اعْتزالُ الوَرَى سبيلُ الخلاصِ
وطريقُ الفتى إلى الإخلاص
أنا مالي هَمٌّ فبالناسِ هَمِّي
في ازديادٍ، وهمُّهمُ في انْتقاصِ
صاحِ ما أطْيَبَ التَّفرُّدَ في الخلْـ
ـوَةِ عَنْهُمْ، ولوْ يَفعلُ المعاصي
أنْفقِ الوقتَ كُلَّهُ في مُرادي
مُستَرِيحاً مِنْ كُلِّ دانٍ وقاصي
ليْتَ شِعْري ما ذا أقولُ إذا نُو
ديَ في الحَشْرِ: يا فلان المعاصي
وتاسَّفتُ حين شاهدْتُ أعمـ
ـالي قباحاً، ولاتَ حينَ مناصِ
يا كثيرَ العصيانِ قد ذهبَ العُمْـ
ـرُ إلى كمْ تَرَى ركوبَ المعاصي
أيْنَ مَنْ شَيَّدَ القصُورَ لقد ما
تَ، ومَاتَ القنُوعُ بالأخصاصِ[1]

(٢) الأبيات في فوات الوفيات: ١٠٧/٤.
(٣) القصيدة في عيون التواريخ: ١٣٨/٢١.

كُـن حَريـصاً علـى الـصلاحِ وفـارقْ
شـانَ قـومٍ علـى الحُطـامِ حِـراصِ
وتفكّـرْ يومـاً يَحيـقُ بـكَ الـذ
لُّ، ويـدْعي فيـه لأخـذِ القـصاصِ

(الفاء)

وقال[٢]: [الوافر]

حَبيبـي جـزتَ حـدَّ الحَـصْرِ وصْـفا
وفقـتَ علـى الـوَرَى حُـسْناً وظرفـا
أريقُـكَ خمْـرةٌ أم سلـسبيلٌ
تُـسِرُّ الـروحَ، أم عَـسَلٌ مُـصَفّى؟
هِيـامي فـي المَحبّـةِ غَيْـرُ خـا
فٍ، وأوصـافُ المَحَبَّـةِ لـيسَ تَخفـى
مَـددتُ إليـكَ كـفَّ الـذلِّ فـارْحَمْ
مُحبّـاً مَـدَّ نَحْـو نَـداكَ كفـا
ايحْـسنُ انْ اذلَّ، وانْـتَ عِـزّي
وتَـسْمَعُ قـولَ حُـسّادي واجْفـا؟
لقـد نـالَ الأعـادي مـا أرادوا
وقـد شَـمُتَ الحـسُودُ، وقـد تَـشفى
حَريـقُ الـشَّوقِ فـي قلـبِ المُعنّـى
إذا شـئتُمْ بمـاءِ الوصـلِ يُطفـا
تُقـيمُ الحـدَّ فـيَّ بـايِّ حُكـمٍ
وانـتَ سَـقَيْتَني الـصَّهْباءَ حَرْفـا
بِهَجْـركَ سـيِّدي مَزَّقـتَ قلبـي
ومـزْقُ الهجْـرُ شـيءٌ لـيسَ يرْفـا
خـضعتُ لِمَـنْ أحـبُّ، وقلـتُ دَبِّـرْ
بحقّـكَ نَـوبتي كرمـاً ولُطفـا
وعِـشْ لـي سـالماً مِـنْ كُـلِّ سُـوءٍ
تـوقى شـر أعيننـا وتُكفـى
فـاطرَقَ ثـمّ حـدَّثَ نحـوَ وجْهـي
وصـعّدَ فـيَّ بَعْـدَ العُجْـبِ طَرْفـا
وقـالَ بنفـرَةٍ: أنـا لا أبـالي
قـد اسـتكريْتَ فـي عِـشْقي مكفـى

(القاف)

وقال في رثاء بغداد أيضاً[٣]: [البسيط]

أحْبـابَ قلبـي نـاوا فالـدّمعُ يَـستَبِقُ
وكـمْ سـألتُهُمْ رفقـاً فمـا رَفقـوا
ضـاقتْ بـيَ الأرضُ مُـذ جَدَّتْ ركـائبَهُمْ
وأظلَـمَ الجـوُّ فـي عَيْنـيَّ والأفـقُ
كانُوا جمالي وتاجي في المَلا وشمُوسي
فـي الـضحى وأنْـسِي إنْ دجـا الغَـسَقُ
بـانوا فَجَفْنـيَ مَقـروحٌ، ودمعـي مَسْفوح
وقلبـيَ مجـروحٌ ومُحْتَـرقُ
واللهِ مـا دارَ هـذا البـينُ فـي خلـدي
ولا ظننْـتُ بانّـا قـطُّ نفتـرقُ
إنَّ الـذين بكاسـاتِ المُنَـى شَـرِبُوا
صُـبْحاً فمـصطبحٌ مِنْهـا ومُغتَبـقُ
بينـا هُـمُ يَـشْربُونَ الـرَّاحَ مـا شَـعَرُوا
إلاَّ وهُـمْ ببقايـا الكـاسِ قـد شـرقوا
ضـاقتْ منازلُنـا مِـنْ أجـلِ بُعْـدِهِم
كأنَّمـا دورنـا مِـنْ بَعْـدِهِمْ حَلَـقُ
يـا سـادةً تَركـوني هائمـاً قلقـاً
ولـي دُمُـوعٌ علـى الخـدَّيْنِ تنـدَفِقُ
وحقِّكُـم مـا حَـلا لـي بعـد فـرقتِكُم
عَـيْشٌ، ولا راقَ عِنْـدي مَنْـزلٌ أنـقُ
وكلّمـا ناحـتْ الورقـاءُ بعـدكُم
فـي البـانِ يلطـمُ فـي أغـصانِها الـوَرَقُ
ديـارُكُمُ وفـؤادي بعـد بيـنكمُ
كُـلٌّ غـدًا منهمـا بالنـارِ يَحْتَـرقُ
دَهْـري وصـبري وقلبـي والتجلُّـدِ خـا
نـوني فمـن بعـدهم قـل لـي: بمَـنْ أثِـقُ؟
واعْجَـبْ لِمَـدْمَعِ مـاءٍ لـي بـهِ حُـرَقٌ
مِـلءُ الفـؤادِ، ونـارٌ لـي بهـا غـرَقُ
إنْ أخبـروكمْ بـانّي مُـذ عـدمتكم
لـم تعـرفِ النـومَ أجفـاني فقـد صَـدَقُوا
ومـا انْتفـاعي بطـرفٍ لا يُـشاهدُكم؟
دمْعُـهُ يـذبُّ البُكـا، والـدَّمْعُ والأرَقُ

(١) الأخصاص، جمع خص -بضم الخاء وتشديد الصاد-: وهو البيت من القصب.

(٢) القصيدة في عيون التواريخ: ١٠٩/٢١.

(٣) القصيدة في عيون التواريخ: ١٣٩/٢٠.

جارَ الزَّمانُ على قلبي الحزين ولو
لا مَدْحي المصطفى لمْ يَبْقَ لي رَمَقُ
المُجْتَبى خَيْرُ خَلْقِ الله كلِّهم
ومَنْ تَكَمَّلَ فيه الخلْقُ والخُلُقُ
صلّى الإلهُ على المُختار ما طلعتْ
شمسٌ وأشْرَقَ نَجْمٌ، أو دجا غَسَقُ

وقال يهجو علماء المستنصرية، موريا بمحبّ الدين مصدّق[1]، وهو أحد علمائها أحد علماء[2]: [الطويل]

حنابلةُ المستنصريّةِ قد بُلُوا
بدرسٍ جهولٍ بالجهالة يَنطقُ
ولا غروَ إن صبّ العذابُ عليهمُ
إذ الأعورُ الدّجالُ فيهمُ مصدّقُ

وقال وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة[3]: [مجزوء الخفيف]

حبّذا منْ ليلةٍ سُلفتْ نلتُ فيها بغيةً ولقى
بتُّ والحبيبُ معي في قميصي عِفّةٌ وتُقى
يا لهُ من أهيفٍ غَنِجٍ بتُّ من مُغتبقا
مُذ رمى عن قوسِ حاجبِه لمْ يَذرْ للعاشقينَ بقا

(الكاف)

وقال في نكبة بغداد، وما جرى على أهلها من القتل والفناء[4]: [البسيط]

بانُوا، ولي أدْمعٌ في الخدِّ تَشتبكُ
ولوعةٌ في مجالِ الصَّدْرِ تَعْتَركُ
بالرَّغمِ لا بالرضا منِّي فِراقُهُم
ساروا، ولمْ أدْرِ أيَّ الأرضِ قد سَلكوا
يا صاحبي ما احتيالي بعد بعدهم
أشِرْ عليَّ فإنَّ الرأيَّ مُشتركُ
عَزَّ اللقاءُ وضاقتْ دُونَهُ حِيَلي
فالقلبُ في أمْرِهِ حَيْران مُرْتَبكُ
يَعوقني عَنْ مُرادي ما بُليتُ به
كما يعوقُ جناحي طائرٌ شَرَكُ
أرومُ صَبْراً، وقلبي لا يُطاوعُني
وكيفَ يَنْهضُ مِنْ قد خانَهُ الورَكُ؟
إنْ كُنْتَ فاقد ألف نُحْ عَلَيْه معي
فإنَّنا كلُّنا في ذاكَ نَشتَرِكُ
يا نكبةً ما نَجا مِنْ صِرْفِها أحدٌ
مِنَ الوَرَى فاسْتَوَى المملوكَ والمَلِكُ
تمكنتْ بعدَ عِزٍّ في أحبَّتِنا
أيدي الأعادي فما أبقوا ولا تركوا
لوْ إنَّ ما نالهمْ يُفدى فدَيْتُهُمْ
بمُهْجَتي، وبما أصْبحتُ أمتلكُ
رَبْعُ الهدايةِ أضحى بعدَ بعدهمُ
مُعطلاً، ودمُ الإسلامِ ينسَفِكُ
والشِّرْكُ مُنْجَبِرٌ، والمُلْكُ مُنْكسرٌ
والحَقُّ مُستترٌ، والسِّترُ مُنهَتِكُ
ذاكَ السَّوادُ شبابُ الدَّهْرِ كان، وقد
شابَ الزمانُ، ودالَ الفاحِمُ الحلكُ
كانوا، وكانتْ حُماةُ العِزِّ تَحْرُسُهُمْ
مِنَ الأعادي فلمَّا نكبُوا فتكوا
أجابني الطللُ البالي ورسْمُهُمُ الخالي
نعمْ هاهنا كانوا، وقد هلكوا
أينَ الذين على كُلِّ الوَرَى حكمُوا؟
أينَ الذين اقتَنَوا؟، أينَ الذي مَلَكوا
وقفتُ مِنْ بعدِهِمْ في الدار أسألُها
عَنْهُمْ، وعمّا حَوَوْا فيها وما مَلَكوا
لا تحسبُوا الدّمعَ ماءً في الخدودِ جَرَى
وإنَّما هيَ رُوحُ الصَّبِّ تَنْسَبِكُ

وقال متغزلا[5]: [الكامل]

أرْفِقْ بصَبٍّ لا يُريدُ سِواكا
قد صارَ مِنْ فرطِ السَّقامِ سِواكا
أسْكنْتُهُ رَبْعَ الغَرامِ فيا لهُ
مِنْ ساكنٍ لا يستطيعُ حِراكا
باللهِ مَنْ أفتاكَ في سَفكِ الدِّما
حتّى تُسلِّطَ طَرْفُكَ الفتّاكا
كمْ لي بأكنافِ الأجَيْرعِ وقفةً
عَلَّي على وادي الأراكِ أراكا

(١) محب الدين مصدّق أبو الفتح أحمد بن محمد بن أبي الفتح البغدادي المحدث المقرئ، من فقهاء المستنصرية، كان حافظاً حسن الأداء، عارفاً بالتفسير، كان ممتعاً بإحدى عينيه، مات سنة ٦٧٧هـ ينظر في ترجمته: تلخيص مجمع الآداب: ٣٨٤/٥.

(٢) البيتان في تلخيص مجمع الآداب: ٣٨٤/٥.

(٣) الأبيات في سير أعلام النبلاء: ٣٧٩/١٥-٣٨٠.

(٤) القصيدة في الحوادث الجامعة: ٣٣٤-٣٣٥، وعيون التواريخ: ١٣٧/٢٠.

(٥) الأبيات في فوات الوفيات: ١٠٣/٤-١٠٤.

كـمْ صـامتٍ بالوجـدِ ينطـقُ حالُـهُ
هـذا، وكـمْ شـاكٍ فـؤاديَ شـاكا
ضـرَبَ الغَـرامُ على النفوسِ سُرادقاً
والحُـسنُ مـدَّ على العقُـولِ شِـباكا
كيـفَ الخـلاصُ مِـنَ الحِمى وبرَبْعِـهِ الـ
ـغزلانُ تنـصِبُ للأسُـودِ شـراكا
وا رحمتـا لـذوي الهـوى مِـنْ جاهـلٍ
مُتعقـلٍ، ومُغفَّـلٍ يتـذاكى
قـالوا: هلكـتَ بحُبِّـهِ فرحمـتُ مَـنْ
مِـنْ جَهْلِـهِ عـدَّ النجـاةَ هلاكـا
كفـوا فمـا أحْلى عـذابي فـي الهَـوَى
عنـدي إذا كـانَ المُعـذِّبُ ذاكـا
يـا صـاحِبي عَـرِّجْ بجرْعـاءِ الحِمَـى
فَهَنَـالكَ رُؤيـةُ مَـنْ تَـرَاهُ هُناكـا
عَـرَبٌ يعـزُّ المُحتمـي بجنـابِهِمْ
والعُـربُ مـا زالـتْ تعـزُّ كـذاكا

وقال متغزلاً[1]: [الكامل]

أولـى العبـادِ بـأنْ يَـرَاكَ بقَلْبِـهِ
مَـنْ لا يـرى فـي قَلْبِـهِ إلاّكـا
وجمـال وجهـكَ مـا حـلا فـي نـاظري
سَـكَنٌ، ولا سـكنَ الفـؤادَ سـواكا

وقال[2]: [السريع]

مـا جئـتُ كُثبـانَ النَّقـا والأراك
إلاّ عَـسَى يـا نُـورَ عَيْنـي أراكِ
وانْـتَ قـصدي لا أراكَ الحِمَـى
لـولاكَ مـاذا كُنْـتُ أبغـي هُنـاك؟
يـا راقـداً عـنْ سَـهَري غـافلاً
عنـاكَ مـا أصـبحت فيـه هنـاك
لله غـزلانٌ عقيـقُ الحمـى
كـمْ أحوجُـوا صـباً إلـى انْتهـاكِ
نَـصْبُ شِـراك اللحـظ اشـغالُهُمْ
مَـنْ عَلّـمَ الغـزلان نـصبَ الشِّراكِ
لـوْ كُنـتَ يـا وصـلهم تـشترى
لمَـا غـلا بـالروحِ عنـدي شِـراكِ
لا ابْتغـي غَيْـرَكُمْ سـادةً
عَـنْ بـابكمْ مـا للعبيـد انْفكـاك

وقال يرثي عزّ الدين الهمذاني[3]، وقد أقيمت عزيته في المدرسة المستنصرية[4]: [الطويل]

حـديثُ المُنـى إفـكٌ فعـدِّد عـن الإفـكِ
ولا تطعـنّنْ فـي لَبّـةِ الحـقِّ بالـشَّكِّ
وعـنْ مثـل عـزّ الـدين لـمْ يُبـقَ صَـرْفُها
فهـل هـذه إلاّ الحقيقـةُ بـالتَّرْكِ

(اللام)

وقال وقد رجع الوفد ولم يحجّوا خوفاً من القطّاع[5]: [السريع]

يـا ربـعَ ليلـى ضـاقتْ بنـا الحيـلُ
وانْقطعـتْ دونَ قـصدِكَ الـسُّبُلُ
وجـرّدتْ للـذي تجـرّد للمـسيـ
ـرِ إليـكَ الـشوق والأصـلُ
وكلّمـا هـمَّ بـالنهوضِ فتًـى
جـرى عليـهِ مـا لـيسَ يحتمـلُ
هـذا قربـانُ الغـرامِ
والقلـبِ بنـارِهِ قِبَـلُ
واحـسرتي مـا أمـرّ قـولهمُ:
قـد رجعـوا والـدموعُ تنهمـلُ
أمّلـتُ أنـي أزورُ دارَهُـمُ
فحـالَ ظنّـي وخـانني الأمـلُ
ومـا انقـضى لـي مـن نُيتـي وطـرٌ
بـلْ ذهـبَ العُمْـرُ وانقـضى الأجـلُ

وقال متغزلاً[6]: [الطويل]

فـؤاديَ مِـنْ مَحْبُـوبِ قَلْبـي لا يَخْلُـو
وفكـري علـى سَـتري محاسِـنُهُ يَجْلُـو
حَبيـبٌ فريـدٌ فـي جميـعِ صِـفاتِهِ
فـلا بَعْـدَهُ بَعـدٌ، ولا قَبْلَـهُ قَبْـلُ
أورِّي برمْـلِ الجَـزْعِ عَنْـهُ وبانـهِ
ولا البـانُ مَطْلـوبي، ولا قـصديَ الرَّمْـلُ
وأذكُـرُ فـي لَيْلـى حَـديثي مُغالطـاً
وجمـل، ولا ليلـى مُـرادي، ولا جمـلُ
ألا يـا حبيـبَ القلـبِ يـا مَـنْ لـذكرِهِ
علـى ظـاهري مِـنْ بـاطني شـاهِدٌ عَـدْلُ

(١) البيتان في الدر الفريد (خ): ٤٤/٣.
(٢) الأبيات في عيون التواريخ: ١٠٨/٢١، تاريخ ابن الفرات: ٧٢/٧.
(٣) عز الدين محمود بن خضيران الهمذاني، أحد علماء المدرسة المستنصرية، مات سنة ٦٦٦هـ ينظر في ترجمته: تلخيص مجمع الآداب: ٧٥/٤.
(٤) البيتان في تلخيص مجمع الآداب: ٧٥/٤.
(٥) الأبيات في سير أعلام النبلاء: ٣٧٩/١٥.
(٦) الأبيات في الدر الفريد (خ): ١٠١/٥، وعيون التواريخ: ١١١/٢١.

تَجَلَّيْتَ في مَكْنُون سِرِّي فاصْبَحَتْ
صفاتي تُنادي: ما لِمَحْبُوبِنا مِثلُ
فلَمْ أرَ في العُشَّاقِ مِثلي؛ لأنَّني
تلَذُّ ليَ البَلْوَى ويُطْرِبُني العَذلُ
سِوَى مَعْشَرٍ حَلُّوا النِّظامَ ومَزَّقوا الـ
ـسِّياجَ، فلا فَرْضٌ عليهمْ، ولا نفلُ
مجانينَ إلاّ أنَّ سِرَّ جُنُونِهِمْ
عَزِيزٌ على أعْتابِهِمْ يَسْجُدُ العَقلُ

وقال يشكو تباريح الهوى[1]: [الطويل]

شهودُ غرامي في هَوَاكَ عدولُ
سُهادٌ ودمعٌ سائلٌ ونحولُ
وشَوْقي إلى لُقياكَ شَوْقٌ مُبرِّحٌ
ولي شَرْحُ حالٍ في الغرامِ يَطُولُ
لقد فضحَ الصَّبَّ الحمُولَ ركائبٌ
سَرَيْنَ، وأقمارُ السَّماءِ حمُولُ
سَرَتْ وفؤادي مُوبِقٌ مُوثَقٌ بها
تَميلُ بِهِ الأشْواقُ حَيْثُ تَميلُ
وهَمَتُ، ولكنْ ما وهمْتُ بحُبِّ مَنْ
مَحاسِنُهُ ما إنْ لَهُنَّ مَثيلُ
حَبيبٌ تَجَنَّى ظالماً فاحتملتُهُ
وكُلُّ مُحِبٍّ للحَبيبِ حمُولُ
تَجَنَّى بلا ذنبٍ عليَّ ومَلَّني
وعَنَّ لَهُ عمّا عهدتُ يحُولُ
ومالَ على ضَعْفي، ومالَ إلى العِدا
وأقبَلَ يُصغي، والعذولُ يقولُ
ولِمْ لَمْ يُنزِّهْ سَمْعَهُ عَنْ مقالةٍ
بها كمْ أتاني كاشِحٌ وعذولُ
تُرَى هَلْ لنا بعدَ الفراقِ تآلفٌ
وهلْ لي إلى طيبِ الوصالِ وصُولُ
لأشْكُو إليهِ ما لَقيتُ وما جرى
لي، ودمعي شاهدٌ ودليلُ
فو اللهِ ما يَشْفي المَشُوقَ رسالةٌ
ولا يَشْتَكي شكوَى المُحِبِّ رسُولُ

وقال متغزلاً[2]: [الكامل]

راقتْ ورقّتْ شمألٌ وشُمُولُ
وأتَتْ إلينا بالقبولِ قُبُولُ
فالآنَ طابَ العيشُ إذْ ماءُ الحمى
صافٍ، وظلُّ الأثلتين ظليلُ
لم لا تقاطعْ كلّ شيءٍ قاطعٍ
ولنا إلى وصلِ الحبيبِ وصولُ
طابَ افتضاحي في هواهُ وراقَ لي
وجدي به مهما أردتُمْ قولُوا
يا عاذلي في حُبِّهم لا تطلُبنْ
منّي السلوَّ فما إليهِ سبيلُ
أتُرَى يُساعدُني الزمانُ بقربِكُمْ
فأبُثُّ ما بي من جوًى وأقولُ:
ايجوزُ أن أظمأ وأنتم مَوْرِدٌ
عذبٌ، ومشرعُ برِّكم مبذولُ؟
وأذادُ عن ناديكُمُ وحِماكمْ
للقاصدين مُعرّسٌ ومَقيلُ
حاشى، وكلاّ أن يعزّ بعزِّهِ
كلّ الورى، وأنا لديه ذليلُ

وقال[3]: [البسيط]

هَواكَ صَيَّرَني بَيْنَ الوَرَى مَثَلاً
وأنْتَ قَصْدي، وأمَّا مَنْ سِوَاكَ فلا
وإنْ بَغى بَدَلاً غَيْري، قُلْتُ: أرى
وجُودَ غَيْرِكَ حتّى ابْتَغي بَدَلا
يا سَيِّدي أنْتَ في قَلْبي تُحَدِّثُني
بما نُريدُ، لماذا نُتْعِبُ الرُّسُلا؟
يا عاذلَ الصَّبِّ لا تَتْعَبْ، ودَعْهُ فَمِنْ
شَرْطِ المَحَبَّةِ أنْ لا يَسْمَعِ العَذلا
كرِّرْ حَديثَ الذي أهْواهُ في أذني
فكُلَّما مَرَّ في سَمْعِ المُحِبِّ حَلاَ
صَدِّقْ إذا قِيلَ صَبٌّ ماتَ مَنْ وَلَهٍ
ولا تُصدِّقْ إذا ما قِيلَ عَنْهُ سَلا
إنْ كانَ حُبُّ الذي نَهْواهُ يَقتُلُنا
كما يُقالُ، فيا بُشْرَى لِمَنْ قتلا

وقال[4]: [الخفيف]

قُلْ لِمَنْ نالَ حظّهُ مِنْ رُقادٍ
جاعلاً حُجّةً لطيفِ الخيالِ

(١) الأبيات في فوات الوفيات: ١٠٥/٤-١٠٦.
(٢) الأبيات في الدر الفريد (خ): ٤٤/٣.
(٣) الأبيات في عيون التواريخ: ١١٠/٢١، وتاريخ ابن الفرات: ٧٢/٧-٧٣.
(٤) الأبيات في رسالة الطيف: ١١٩-١٢٠، والتذكرة الفخرية: ٩٤-٩٥.

لـــوْ تَيَقظـــتَ جئـــتُ نَحْـــوَكَ لكـــ
ـــنّي أرْسَـــلتُ حـــينَ نِمْـــتَ مِثـــالي
لـــوْ صَـــدَقتَ الهَـــوَى صَـــدَقتُ ولكـــنْ
مـــا جَـــزَاءُ المُحـــال غَيْـــرُ المُحـــالِ

وقال[1]: [الوافر]

اتْـــرُكْ عالمـــاً، قـــال: اســـألوني
وأقـــصدُ مـــن يفـــرُّ مـــن الـــسؤالِ

(الميم)

وقال يذكر خراب بغداد[2]: [الكامل]

عنـــدي لأجـــلِ فـــراقكمْ آلامُ
فـــإلى مَ أُعْـــذلُ فـــيكمُ وألامُ؟
مَـــنْ كـــانَ مِثلـــي للحبيـــبِ مُفارقـــاً
لا تَعـــذلوهُ فـــالكلامُ كـــلامُ
نِعـــمَ المُـــساعِدُ دَمْعـــيَ الجـــاري علـــى
خـــدّيَّ إلاّ أنَّـــه نمّـــامُ
ويـــذيبُ روحـــي نَـــوحُ كُـــلّ حمامـــة
فكأنَّمـــا نَـــوْحُ الحَمـــامِ حِمـــامُ
إنْ كُنْـــتَ مِثلـــي للأحِبّـــةِ فاقـــداً
أو فـــي فـــؤادكَ لوعـــةٌ وغـــرامُ
قِـــفْ فـــي ديـــار الظـــاعنين ونادِهـــا:
(يـــا دارُ مـــا صَـــنَعَتْ بِـــكِ الأيّـــامُ)[3]
أعرضـــتُ عَنْـــكِ؛ لأنَّهـــم مـــذ أعْرَضُـــوا
لـــمْ يَبْـــقَ فِيـــكَ بـــشاشةٌ تتـــامُ
يـــا دارُ أيـــنَ الـــساكنُونَ؟، وأيْـــنَ ذيـــ
ـــاكِ البهـــاءُ، وذلـــك الإعظـــامُ؟
يـــا دارُ أيْـــنَ زمـــانُ رَبْعَـــكِ مُونِقـــاً؟
وشـــعارُكِ الإجـــلالُ والإكـــرامُ
يـــا دارُ مـــذ أفلـــتْ نُجُومُـــكِ عَمَّنَـــا
واللهِ مِـــنْ بَعـــدِ الـــضياءِ ظـــلامُ
فلبُعْـــدِهِمْ قـــرُبَ الـــرّدى، ولِفقـــدِهِمْ
فُقِـــدَ الهُـــدَى، وتَزلـــزلَ الإســـلامُ
فمتـــى قبلـــتِ مِـــنَ الأعـــادي ســـاكناً
بعـــدَ الأحبّـــةِ لا ســـقاكِ غمـــامُ

يـــا ســـادتي، أمّـــا الفـــؤادُ فـــشَيِّقٌ
قَلِـــقٌ، وأمّـــا أدْمُعـــي فَـــسِجامُ
والـــدارُ مـــذ عـــدمتْ جمـــال وجـــوهِكُمْ
لـــم يَبْـــقَ فـــي ذاك المُقـــامِ مقـــامُ
لا حـــظَّ فيهـــا للعُيُـــونِ، ولـــيسَ للـــ
أقـــدامِ فـــي عَرصـــاتِها إقـــدامُ
وحيـــاتِكم إنّـــي علـــى عهـــدِ الهَـــوَى
بـــاقٍ، ولـــمْ يُخْفَـــرْ لـــديَ ذمـــامُ[4]
فـــدمي حـــلالٌ إنْ أردتُ ســـواكمُ
والعَـــيْشُ بعـــدكمُ علـــيَّ حَـــرامُ
يـــا غـــائبينَ وفـــي الفـــؤادِ لبُعـــدِهِمْ
نـــارٌ لهـــا بـــينَ الـــضلوعِ ضَـــرامُ
لا كُتُـــبكمْ تـــأتي، ولا أخبـــاركمْ
تُـــرْوَى، ولا تـــدنيكم الأحـــلامُ
نغـــصتُمُ الـــدّنيا علـــيَّ وكلَّمـــا
جـــدَّ النـــوى لعبـــتْ بـــيَ الأســـقامُ
يـــا ليـــتَ شِـــعري كيـــفَ حـــالُ أحبَّتـــي
وبـــأيِّ أرضٍ خيَّمُـــوا وأقـــامُوا؟
ولقيـــتُ مِـــنْ صـــرفِ الزمـــانِ وجـــورِهِ
مـــا لـــم تُخَيِّلْـــهُ لـــيَ الأوهـــامُ
مـــا لـــي أنـــيسٌ غَيْـــرَ بيـــتٍ قالـــهُ
صَـــبٌّ رمَتْـــهُ مِـــنَ الفِـــراقِ سِـــهامُ
(واللهِ مـــا اختَـــرْتُ الفـــراقَ، وإنَّمـــا
حكمـــتْ علـــيَّ بـــذلكَ الأيـــامُ)

وقال يذكر أحبّته بعد النكبة[5]: [الكامل]

الامُ علـــــى محبَّـــــتكمْ الامُ
وســـوم الهجـــر عنـــدكم أســـامُ
وإنِّـــي للمُحـــبِّ ســـماع عـــذلٍ
وفـــي طـــيِّ الحَـــشَا مِنْـــهُ كـــلامُ
ومَـــنْ لـــمْ يَقـــضِ بالمعـــشُوقِ وجـــداً
فمـــا ذاكَ المُحـــبُّ المُـــسْتَهامُ
بجرعـــاءِ الحِمـــى عـــرب حلـــول
وسُـــوق العِـــشْقِ عنـــدهُمُ يُقـــامُ
أخـــي أنـــخْ باكنـــافِ المُـــصلى
ولا تَرْحَـــلْ فقـــد بـــدَتْ الخِيـــامُ

(١) البيت في الدرّ الفريد (خ): ١٩٦/١.
(٢) القصيدة في فوات الوفيات: ٢٣٢/٢-٢٣٣، ومسامرة الحبيب: ٢١٥-٢١٦.
(٣) ضمن الشاعر صدر بيت لأبي نؤاس، وتمامه: (ضامتك والأيام ليس تضام).
(٤) يخفر: ينقض، والذمام: العهد.
(٥) الأبيات في عيون التواريخ: ١٠٩/٢١.

حِمـــى ليلـــى لمَـــنْ وافـــاهُ رَبْـــعٌ
يَعـــزُّ بِـــهِ النَّزيـــلُ، ولا يُـــضامُ

وقال[1]: [الطويل]

لقـــد حَـــصلت لـــي ليلـــةٌ لا تقـــومُ
وعنـــديَ مـــن أهْـــوَى بهـــا أتـــنعّمُ
وفـــي كفِّهـــا شـــبابةٌ[2] تجمـــعُ المُنـــى
فـــنحنُ سُـــكُوتٌ، والهـــوَى يَـــتَكلَّمُ
ويَـــنْفخُ فيهـــا الـــرُّوحُ رُوحٌ بأمرهـــا
ومـــا هُـــوَ جبْريـــلٌ، ولا هـــيَ مَـــرْيَمُ
ومـــا الـــدَّهْرُ إلاَّ صُـــورةٌ دَمُهـــا الطِّـــلا
فتُحْـــرَمُ إذ شـــرْبُ الـــدماءِ مُحَـــرَّمُ
ومـــا زلـــتُ شـــيعيّاً إلـــى أن أتَـــوْا بهـــا[3]
عَتيقـــاً، فنادَيْـــتُ العَتيـــقَ المقَـــدَّمُ

وقال يرثي تاج الدين الموصلي[4]، وكان به خصيصاً[5]: [الطويل]

أرى الـــدهر يَبْـــري للبريـــة أسْـــهُما
فَتَقْـــصدُ مـــنهم مَـــنْ تَقَـــصَّدَا، أو رَمَـــى
ويعتمـــدُ الأعيـــانُ مـــنهم بـــصرفِهِ
وإنْ كـــانَ لا يَبْغـــي ســـواهُمْ مُعَمّمـــا
فمـــا تَـــرَكَ المـــوتُ النبـــيَّ محمّـــداً
ولا ســـالم الـــدَّهرُ المـــسيحَ بـــنَ مَرْيمـــا
وفـــي حـــالِ تـــاجِ الـــدين موعظـــةٌ لمـــنْ
رأى مـــا دَهَـــى الحَبْـــرَ العلـــيم المُعظّمـــا
هُـــوَ الحـــاكمُ العَـــدْلُ الـــذي شـــاعَ فَـــضْلُهُ
فأنْجَـــدَ بالـــذكرِ الجَميـــلِ وأتْهَمـــا
لِـــدُنْياهُ هـــارون اســـتَجارَ مُـــساعداً
ومُوســـى لأخْـــرَاهُ شَـــفيعاً مُكرَّمـــا
وحـــازَ دعـــاءَ الخلـــقِ إذ كـــانَ مُحْـــسناً
فلمّـــا قَـــضَى صـــارَ الـــدُّعاءُ تَرَحّمـــا
ولـــيسَ يُبـــالي مَـــنْ يُخلِّـــفُ بعـــدَهُ
جَميـــلَ الثنـــا، أنْ لا يُخلِّـــفَ درْهمـــا
وفـــي الجانـــبِ الغربـــيّ كـــانَ قَـــضاؤُهُ
وفيـــهِ قـــضَى أمْـــرٌ لَـــهُ كـــانَ مُبْرَمـــا
وجِـــيءَ فمـــا ردَّ القـــضاءَ قـــضاؤُه
ولا صَـــدَّ عِنْـــدَ الحُكْـــمِ مـــا فيـــهِ حَكّمـــا
أيـــا صـــاحِبَ التعجيـــزِ عَجّـــزَكَ الـــردّى
فلـــمْ نَـــسْتَطِعْ عِنْـــدَ الخطـــابِ التكلُّمـــا
ولا مُعجَـــم الأقـــرانِ عِنْـــدَ جِدالِـــه
أبـــى المَـــوْتُ أنْ يَلْقـــاهُ إلاّ مُـــسَلّما
عَنَيْـــتَ بِتَخْلـــيصِ العلـــومِ مُخلِّـــصُ الـــ
ـــرّدَى لـــكَ مـــنْ كُـــلِّ العلـــومِ مُعلّمـــا
ومُخْتَـــصرِ سَـــيْرٍ مِـــنَ العلـــمِ قـــد غَـــدَا
لمُختـــصر الكُتْـــبِ الطـــوال تَحَكّمـــا
ألا يـــا غريـــبَ الـــدار أنّـــى كلّمـــا
ذكرتُـــكَ زادتْ نـــارُ وجـــدي تَـــضرُّما
وآبـــى علـــى الأحْـــزانِ إلاّ تَجلُّـــدا
ويـــأبى علـــيّ الحـــزنِ إلاّ تَـــصرُّما
فامْـــسَيْتُ مِـــنْ حَـــرِّ الفـــراقِ مُعـــذباً
وأصْـــبَحْتُ مِـــنْ بُـــرَدِ الجنـــانِ مُنَعّمـــا
وبَـــشّرني بـــالفوزِ فـــي حَـــشْرةِ اسْـــمه
ونِـــسْبَته لمّـــا عُـــدْتُ أحْـــسنُ اللمّـــا
فعبـــد الـــرحيم مـــنَ الرضـــيِّ بـــن يُـــونُسَ
بِيُـــونُسَ فـــي العُقْبـــى رضًـــى وتَرحّمـــا
ألا فلْيُراجِـــعْ قَلْبَـــهُ كُـــلُّ ذي حجًـــى
فَمَـــنْ راجَـــعَ العقـــلَ الـــسليمَ وســـلّما
وأيْقَـــنَ أنَّ المَـــرْءَ يَفْنَـــى ومالُـــهُ
مِـــنَ الـــذخرِ إلاّ مـــا مِـــنَ الخَيْـــرِ قـــدَّما

وقال متغزّلاً[6]: [البسيط]

لمـــنْ أراقـــبُ فـــي وجـــدي، وفـــي ألمـــي
وجُـــودُ غيـــرك عنـــدي غايـــةُ العَـــدَمِ
إن رامَ طرفـــي وحاشـــاهُ يـــرى أحـــداً
ســـوى جمالـــكَ يـــا بـــدرَ الـــسّماءِ عَمِـــي
لا يـــستطيعُ فـــؤادي غيـــرَ حُـــبّكُمُ
وغيـــر ذكـــركمُ لا يـــستلذُ فَمـــي
إنّـــي لتُطربُنـــي الـــذكرى بـــلا نغـــمِ
فكيـــفَ حـــالي إذا كانـــتْ مـــع الـــنّغمِ
لمّـــا علـــتْ همّتـــي حتّـــى هـــويتُكمُ
عرفـــتُ كيـــفَ عُلُـــوُّ القـــدرِ والهِمَـــمِ
كـــلٌّ يحـــدّثُ عـــن سَـــلْعٍ وكاظمـــة
مـــا فـــيهمُ مَـــنْ لَـــهُ عِلْـــمٌ مـــن العَلَـــمِ

(١) الأبيات في مطالع البدور: ٣٦٠/١، والبيتان (٤، ٥) في حلبة الكميت: ١٢٢.

(٢) الشبّابة: آلة موسيقية.

(٣) الشطر في حلبة الكميت هكذا: وما زالت الأيامُ حتّى أتت بها.

(٤) القصيدة في ذيل مرآة الزمان: ١٥/٣-١٦.

(٥) هو عبد الرحيم بن يونس الموصلي، أحد أعيان بغداد وفضلائها، مات سنة ٦٧١هـ ينظر عنه ذيل مرآة الزمان: ١٥/٣.

(٦) القصيدة في الدر الفريد: ٣٧٧/٢.

مـا لـي إذا ذُكـرتْ ليلـي، وإن وُصِـفتْ
يَهُزُّنـي الـشوقُ مـن قَرْنـي إلـى قَـدَمي
أسـماءُ عُـشّاقِ ليلـى فـي صـحائفها
مكتوبـةٌ قبـل خلـق اللـوحِ والقلـمِ
مـا يعـشقُ العـشقُ إلاّ عاشـقٌ فَطِـنٌ
مُهـذّبُ الطّبْـعِ، مجبـولٌ علـى الكـرمِ
ومـا نَـسيتُ، ولا أنـسى تَجـشّمها
ومطلـع الجـوّ غُفْـلٌ غَيـرُ ذي عَلَـمِ
حتّـى إذا طـاحَ منهـا الـربط مـن دَهَـشٍ
وانحـلّ بالـضمِّ سِـلكُ العِقـدِ فـي الظُلَـمِ
تَبَـسّمتْ فاضـاءَ الليـلُ فالتقطـتْ
حبّـاتُ مُنتـشرٍ فـي نـورِ مُنـتظمِ

وقال يرثي المستعصم بالله[1] وما آلت إليه الأمور[2]: [الكامل]

يـا عُـصْبَةَ الإسـلامِ نُـوحي والطمـي
حُزنـا[3] علـى مـا حـلّ بالمُستعـصمِ
دَسْـتُ الـوزارةِ كـانَ قبـلَ زمانـه
لابـنِ الفـراتِ[4] فـصارَ لابـنِ العلقمـي[5]

(النون)

وقال يتغزل[6]: [الكامل]

أنـتَ المُـرادُ مِـنَ الأسـامي والكُنـى
والقـصْدُ إنْ رَمَـزَ المُحـدِّثُ أوْ كَنَـى
وإليْـكَ كُـلُّ قـد أشـارَ وغَيْـرُهُ
مِـنْهُمْ بغَيْـرِكَ قـد أداروا الألـسُنا
أفـدي الـذي فَمُـهُ العُـذيْبُ، وثغْـرُهُ
فيـه النَّقـا، وبـه العـسيلةُ تُجْتَنـى
دَمْعـي العقيـقُ، وصَـحْنُ خـدّي سَـفْحُهُ
مِـنْ يـومِ فـارقني، وظهـري مُنحنـى
إنْ كـانَ فـيَّ بَقِيَّـةٌ لِـسِواكم
أوْ دُرَّةٌ فيهـا لغَيْـركُمْ مُنَـى
فجميـعُ مـا أنـا مُـدَّعي فـي حُـبِّكُمْ
زوراً، ومـا أنـا فـي مَحَبَّـتِكُمْ أنـا

وقال في الشوق[7]: [البسيط]

ملابـسُ الـصَّبْرِ نبليهـا وتبلينـا
ومُـدَّةُ الهجـرِ نفنيهـا وتفنينـا
شَـوقاً إلـى أوجـه مُتنـا بفرْقتهـا
حُزنـاً، وكانـتْ تُحَيِّينـا فتُحْيِينـا
أحْزانُنـا بِهِـمُ لا تَنْقَـضي، ولنـا
شَـوْقٌ إلـى ساكني يَبْـرينَ يبرينـا
يـا دَهْـرُ قـد مَـسَّنا مِـنْ بَعْـدِهم حُـرقٌ
مِـنَ الفـراق إلـى التكفـينِ تكفينـا
وعَـدْتَنا بـالتلاقي، ثـمَّ تخلفنـا
فكـمْ نَـرَى مِنْـكَ تلويناً وتلوينـا
ديـارهم دُرِسَـتْ مِـنْ بَعـدما دَرَسَـتْ
نَفـسي بهـا مِـنْ تلاقينـا تلاقينـا
مُتِّعـتُ فيهـا إلـى حـينٍ فـوا أسَـفاً
إذ عِـشتُ حتّـى رأيـتُ الحَـيْنَ والحينـا
كُنّـا جَميعـاً، وكـانَ الـدَّهرُ يُـسعدُنا
والكائنـاتُ بكـأسِ الأمْـنِ تـسْقينا
فـالآنَ قـرَّتْ عُيُـونُ الحاسـدينَ بنـا
بمـا جَـرَى، واشْـتَفَتْ منّـا أعادينـا
فـصارَ يَرْحمُنـا مَـنْ كـانَ يأملنـا
وعـادَ يُبْعِـدُنا مَـنْ كـانَ يـدنينا
وبـاتَ يخـذلنا مـن كـانَ ينـصرُنا
وصـارَ يرْخـصنا مـن كـان يُغلينـا
واليـوم ألطـف كـلّ العـالمين بنـا
مَـنْ عـن أحبّتنـا أضـحى يعزِّينـا
ليـتَ العـذولَ يَـرَى مَـنْ فيـه يعـذلُنا
لَعَلَّـهُ إذ يَـرَى عَيْنـاً يُرَاعينـا

(١) المستعصم بالله عبد الله بن المستنصر بالله بن الظاهر بن الناصر، ولد سنة ٦٠٩هـ وبويع له بالخلافة عاشر جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـ وقتل على يد المغول سنة ٦٥٦هـ كان آخر خليفة عباسي، وكان مستضعفاً، ينظر عنه: مختصر التاريخ: ٢٦٦، مختصر تاريخ الخلفاء: ١٦٣، الفخري: ٣٣٣، وعيون التواريخ: ١٤٢/٢٠، قلادة النحر: ٢٤٦/٥.

(٢) البيتان له في الحوادث الجامعة: ٣٣٥، وشرح الكافية: ٢٥٣، وخزانة الأدب: ٦٧/٤، وشرح عقود الجمان: ٣١٠، وأنوار الربيع: ١٦٤/٥، والصنيع البديع: ٢٤٠.

(٣) في حسن المحاضرة: أسفاً.

(٤) أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن الوزير المعروف بابن الفرات، تولى أمر الدواوين في خلافة المكتفي، ولاه المقتدر العباسي الوزارة ثلاث مرّات، وكان ذا نفوذ واسع، تمكّن من الخزائن والأموال، وفعل ما شاء وأراد. ينظر عنه: الفخري: ٢٦٥، وفيات الأعيان: ٣٦٨/٣، الوافي بالوفيات: ٩١/٢٢.

(٥) هو مؤيد الدين محمد بن أحمد بن علي الأسدي المعروف بابن العلقمي، كان وزيراً كفوءاً خبيراً بالأمور، وكان أديباً جمع إلى فن الكتابة قرض الشعر، اتهمه أعداؤه بممالأة التتار، مات سنة ٦٥٦هـ ينظر عنه: الفخري: ٣٣٧، تاريخ الإسلام: (حوادث سنة ٦٥٦): ٢٩٠، الوافي بالوفيات: ١٥١/١، قلادة النحر: ٢٤٤/٥.

(٦) القصيدة في عيون التواريخ: ١١٠/٢١-١١١، تاريخ ابن الفرات: ٧٣/٧.

(٧) القصيدة في مسامرة الحبيب: ٢١٥-٢١٦، وفوات الوفيات: ١٠٢/٤-١٠٣.

إلى مَتى نَحْمِلُ البلوى وعاذلُنا
بغيْرِ ما هو يعنينا يُعنّينا
ما ضرَّ عذالنا لوْ أنّهم رَفَقوا
فعذلهم ليسَ يسلينا ويسلينا
حمائمُ الدَّوحِ في الأغصانِ نائحةٌ
كما ننوحُ فنحْكيها وتحكينا
تَشجُو وتندُبُ مِنْ شَوْقٍ لِمَنْ فقدتْ
ومَنْ فقدنا فنشجيها وتشجينا
قد نسرت يا أحبانا جَرَائحُنا
وما لنا غَيْرُ لقياكُمْ يُداوينا
أمراضنا مِنْ كلامِ الشامتين بنا
فهلْ زمانٌ يشفّينا ويشفينا؟
إنّا عطاشٌ إلى أخباركُمْ فمتى
يأتي رسُولٌ يروّينا ويرْوينا؟
بنا إلى عِزّكُمْ فقرٌ ومَسْكَنَةٌ
فهلْ بَشيرٌ يغنّينا فيغنينا؟

وقال في رثاء بغداد[1]: [الكامل]

إنْ لمْ تُقرِّحْ أدْمُعي أجْفاني
مِنْ بعْدِ بُعدِكم فما أجْفاني
إنسانُ عَيْني مذ تناءتْ دارُكُمْ
ما راقهُ نظرٌ إلى إنسانِ
يا ليتني قد مُتُّ قبل فِراقكمْ
ولساعةِ التوديعِ لا أحْياني
ما لي وللأيّامِ شَتَّتَ صرفها
حالي، وخلاّني بلا خِلاّني
ما للمنازلِ أصْبَحتْ لا أهلُها
أهْلي، ولا جيرانُها جيراني
وحياتِكُمْ ما حَلَّها مِنْ بعدكمْ
غَيْرُ البلى والهدمِ والنِّيرانِ
ولقد قصدتُ الدارَ بعدَ رحيلكُمْ
ووقفتُ فيها وقفةَ الحَيْرانِ
وسألتُها لكنْ بغيرِ تكلُّمٍ
فتكلَّمتْ لكنْ بغيْرِ لسانِ
ناديْتُها: يا دارُ ما صنعَ الأولى
كانُوا هُمُ الأوطارَ في الأوطانِ
أيْنَ الذينَ عهدتُهُمْ ولعزِّهم
ذلاً تَخرُّ معاقدُ التيجانِ
كانوا نجومَ مَن اقتدى فعليْهُمُ
يبكي الهُدى وشعائرُ الإيمانِ
قالتْ غدوْا لمّا تَبدّدَ شمْلُهُمْ
وتبدَّلُوا مِنْ عِزِّهِمْ بِهَوانِ
كدَمِ الفصادِ يُراقُ ارذل مَوْضِعٍ
أبداً ويخرجُ مِنْ أعزِّ مكانِ
أفنَتْهُمُ غِيَرُ الحَوادثِ مثلما
أفنتْ قديماً صاحبَ الإيوانِ
لمّا رأيتُ الدارَ بعدَ فراقِهِمْ
أضحتْ مُعطلةً مِنَ السُّكّانِ
ما زلتُ أبكيهم والثمُ وحشةً
لجمالِهِمْ مُستهدمَ الأركانِ
حتى رثى لي كُلُّ مَنْ لا وجْدُهُ
وجدي، ولا أشجانُهُ أشْجاني
أتُرَى تعُودُ الدارُ تجْمَعُنا كما
كُنّا بكُلِّ مَسرَّةٍ وتَهاني
إذ نحنُ نغتنِمُ الزَّمانَ ونجتني
بيدِ الأمانِ قطُوفُ كُلّ أماني
والدَّهْرُ تَخدمُنا جميعُ صروفِه
والوقتُ يُعدينا على العُدوانِ
والعَيْشُ غَضٌّ، والدُّنوُّ مُمَزَّقٌ
بيدِ الوصالِ ملابسُ الهجرانِ
هيهاتَ قد عَزَّ اللقاءُ وسدّدتْ
طرقَ المَزارِ طوارقُ الحدثانِ
ما لي أردّدُ ناظريَّ، ولا أرى الـ
أحبابَ بين جماعةِ الإخوانِ
والهفتي، وواحدتي، واحَيْرتي
واوحْشَتي، واحَرَّ قلبي العاني
سرْتُمْ فلا سَرَتْ النَّسيمُ، ولا زها
زَهْرٌ، ولا ماستْ غُصُونُ البانِ
ما لي أنيسٌ بعدكمْ غير البُكا
والنَّوحِ والحَسَراتِ والأحْزانِ
يا ليتَ شِعري ! أينَ سارتْ عِيسُكُمْ؟
أم أينَ مَوطِنُكمْ مِنَ البُلدانِ؟

(١) القصيدة في فوات الوفيات: ٢/٢٣٤-٢٣٥.

وقال في العتاب[1]: [البسيط]

إنْ لـمْ أهِـمْ بِكُـم ألاّ تَـرَى بمـن
يـا مُبْتَـدا ولَهـي، يـا مُنْتَهَـى شَـجَني
وإنْ جَـرَى نَفَـسٌ فـي غَيْـرِ حُـبِّكُمُ
منِّـي فـوافرط حـسراتي وواغَبَنـي
يـا سـادتي افعلُـوا بـي مـا يليـقُ بكـمْ
فقـد أتيـتكم بالـسَّيْفِ والكَفَـنِ
تَـصَرَّفُوا كيْـفَ شِـئْتُمْ فـي محبَّـتِكُمْ
فإنَّـهُ لكُـمُ عَبْـدٌ بـلا ثَمَـنِ
قـد حَـدّثُوني بـسرٍّ لا أبُـوحُ بـه
وكـانَ مِـنْ فَـمِ مَحْبُـوبي إلـى أذني
يـا عـاذلي لـوْ رأت عيْنـاكَ بهْجَـةَ مَـنْ
أهْـوَى لفارقـتَ مثْلـي لـذةَ الوسَـنِ
يـا مَـنْ لبَهْجَتِـهِ الأقمـارُ سـاجدةٌ
وارحمتـا لعَـذولٍ فيـكَ عَنَّفَنـي

وقال[2]: [الطويل]

بَـدَا البَـرْقُ مِـن حُـزوى[3] فهـاجَ حَنينُـهُ
وهَبَّـتْ صَـبا نَجْـدٍ فـزادَ أنينُـهُ
وغنّـى لَـهُ الحـادي بايّـامِ حـاجرٍ
ففاضَـتْ بأمطـارِ الـدُّمُوعِ جُفونُـهُ
وذكَّـرَهُ العَـيْشُ الـذي كـانَ وانقـضى
فكـادَ جَـوًى يَطْـرَا عليْـهِ جُنُونُـهُ
بَعيـدُ الـدّارِ فـارقَ أهْلَـهُ
كئيـبٌ وحيـدٌ بـانَ عَنْـهُ قَرينُـهُ
تَحَمَّـلَ أثقـالَ الغَـرامِ ومالَـهُ
مُعـينٌ علـى حَمْـلِ الغَـرامِ يُعِيُـهُ
وصـانَ الهَـوى فـي قَلْبِـهِ كـلّ جَهْـدِه
فلمّـا نـاى الأحْبـابُ صـانَ مَـصُونُهُ
وظـنَّ بـأنَّ الـدَّهْرَ يَجْمَـعُ شَـمْلَهُ
بمـن يَتمنّـاهُمْ فخابَـتْ ظُنُونُـهُ
أهَيْـلَ الحِمـى بِنْـتُمْ فـدَمْعي مُطلَـقٌ
وقَلْبـيَ قـد ضـاقَتْ عليـهِ شُـجُونُهُ
أهَيْـلَ الحِمـى لا أوْحَـشَ اللهُ مِـنْكُمُ
لقـد كُنـتمُ للرَّبْـعِ زَيْنـاً يُزينُـهُ
مَـرَرْتُ علـى الـوادي، وكـانَ زمـانُكم
بَلابِلُـهُ تَـشْدُو، وتَجْـري عُيُونُـهُ
فابْـصَرْتُهُ مِـنْ بَعْـدكُمْ وهْـوَ قـد عَفـا
وأقفـرَ مِنْـهُ سَـهْلُهُ وحُزُونُـهُ
فنادَيْتُـهُ: أيْـنَ الـذينَ عَهـدْتَهُمْ
هُنـا وغـديرُ العَـيسِ صـافٍ مَعينُـهُ
فقـالَ لـيَ: الـوادي نـاوْا وتَرَحَّلُـوا
وهـذا فُـؤادي للتنـائي حَزينُـهُ
فقلـتُ: وهَـلْ يَسْخوا الزمـانُ بعَـوْدِهِمْ
فقـال: لعـلَّ الـدَّهْرَ يـسخُو خؤُونُـهُ
إلـى أنْ يَعُـودَ المـاءُ فـي النهْـرِ جارياً
تَمُـوتُ بِـهِ أطْيـارُهُ وغُـصُونُهُ
وكـمْ مـاتَ صَـبٌّ بـالتواقيعِ والمُنـى
ولـمْ تُقـضَ مِـن خـصْمٍ عليـه دُيُونُـهُ

وقال في الحنين إلى الكوفة[4]: [الرمل]

حنَّـتِ الـنَّفسُ إلـى أوطانِهـا
وإلـى مَـنْ بـانَ مِـنْ خِلاّنِهـا
بـديارٍ حَيِّهـا مِـنْ مَنْـزلٍ
سَـلَّمَ اللهُ علـى سُـكّانِها
تلـكَ دارٌ كـانَ فيهـا مَنْـشَئي
مِـنْ غَرْبِيِّهـا إلـى كُوفانِهـا
وبِهـا نُـوقُ الـصِّبا أرْسَـلْتُها
هَمَـلاً تَمْـرَحُ فـي أرْسـانِها
فلكـمْ حـاورتُ فيهـا أحْـوَراً
ولكـمْ غازلـتُ مِـنْ غِزْلانِهـا
لا يُـلامُ الـصَّبُّ فـي ذكْـرِ رُبًـى
بـانَ مِـنْ غَيْـرِ رضًـى عَـنْ بانِهـا
ولكـمْ قَـضَّيْتُ فيهـا أرَبـاً
آه، وا شَـوْقاً إلـى كُثبانِهـا
اكْتَـسَتْ افناؤُهـا سُنْدُسـيَّةً
تـدْهَشُ الألبـابُ مِـنْ أفنانِهـا
فغـدَتْ مِثـلَ عَـرُوسٍ تُجْتَلَـى
وسَـحِيقِ المِسْكِ فـي أردانِهـا
لـيْسَ بـي شَـوقٌ إلـى أطْلالِهـا
إنَّمـا شَـوْقي إلـى جِيرانِهـا
كُلَّمـا رُمْـتُ سُـلواً عَـنْهُمُ
لا تـريمُ الـنَّفسِ عَـنْ أشْـجانِها

(١) الأبيات في عيون التواريخ: ٢١/١٠٧-١٠٨.
(٢) القصيدة في مسامرة الحبيب: ٢٢١-٢٢٢.
(٣) حزوى -بضم أوله وتسكين ثانيه مقصور- موضع بنجد. معجم البلدان: ٢/٨٧
(٤) الأبيات في الوافي بالوفيات: ٢/٧٠.

شَـــقِيَتْ نَفـــسيَ بـــالحُزنِ فمَـــنْ
يُـــسْعِدُ الـــنَّفسَ علـــى أحْزانِهـــا

(الهاء)

وقال متغزلاً[1]: [البسيط]

جَـلا الـدُّجى إذ جـلا فينـا مُحَيّـاهُ
فكـمْ أمـاتَ بِـهِ صَـبّاً وأحْيـاهُ
مُمَنَّـعٌ تَعْـشَقُ الأكـوانُ بَهْجَتَـهُ
بَـدْرٌ بلـى، مـا لبـدر الـتمِّ معنـاهُ
أشْـتاقهُ، وسَـوادُ القلـبِ مَنْزِلُـهُ
والبـدرُ مـا زالَ بُـرْجُ القلـبِ مـاواهُ
أكنِّـي بليلـى ولُبْنـى حـينَ أذكُـرُهُ
صَـوْناً لـهُ، وبحـالي يَعلـمُ اللهُ
بالحُـبِّ يَعرفُنـا حَقّـاً ونَعرفُـهُ
مُكمّـلُ الظَّـرفِ يَهْوَانـا ونَهْـواهُ
أدِيـرُ عَيْنـيَ فـي الـدُّنيا وزهرَتِهـا
فمـا يَـرُوقُ لهـا فـي الخلـقِ إلاَّ هُـو
يَسُوغُ لـي العـذلُ إذ يشدُو العَـذولُ بِـهِ
لـولاهُ مـا ساغ عنـدي العـذلُ لـوْلاهُ
لوْ شاهدَ القـومُ مـا شاهدتُ مِنْ قمـري
بالعـذلِ مـا نطقـوا فيـه ولا فـاهُو
قـالوا: تَسَلَّ عَـنِ المحبُـوبِ، قلتُ لهـم:
حاشـا لمثلـيَ أنْ يَـسْلو، وحاشـاهُ
امـا رأى حُـسْنَهُ مَـنْ فيـهِ يعـذلُني
يـا قـومُ مـا أجْهـلَ اللاحـي وأغبـاهُ
يـا عِـزَّ مَـنْ أنْـتَ يـا مَـوْلايَ سَـيِّدَهُ
يـا ذلَّ مَـنْ لَـسْتَ يـا مَـوْلايَ مَـوْلاهُ
أهـيمُ إنْ رمـزَ الحـادي بـذكرِ حَبيـ
ـبِ القلـبِ، أو هـوَ سَـمّاهُ وكنّـاهُ
هَيَّجْـتَ وجـدي بـذكرى مَـنْ كلفـتُ بـهِ
كـرِّرْ علـى مَـسْمَعي بـاللهِ ذكـراهُ
أعِـدْ فـإنَّ حـديثَ الحُـبِّ فـي أذنـي
واللهِ أطيـبُ مَـسْمُوعٍ وأحـلاهُ

وقال في خطلوشاه[2]، وكان به مغرماً[3]: [السريع]

آهٍ، ولا أعـذلُ إنْ قلـتُ آهْ
قـد قَتَلَتْنـي مُقلتـا خطلـشاه
فعارضـاهُ واشـرَحا قـصّتي
لـهُ ومـا قـد فعـلا عارضـاهْ
لـمْ يفتـتنْ مَـنْ لا رأى حُـسْنَهُ
ولا سُـبي يـا قـوم مَـنْ لا سَـباهْ
خـاطرتُ بـالروحِ لـذكري لـهُ
غايـة مـا فـي البـابِ دقـوا قفـاهْ

الفنون الشعرية الأخرى

قال متغزلاً[4]:

ادْهَـشَ لُبِّـي	هـذا الجُـؤذرْ	حـاوي المُلَـحْ
شَـوَشَ قلبـي	حـاليَ غَيَّـر	لمّـا سَـنَحْ
نَقّـشَ ربّـي	ورداً أحْمَـرْ	مثـل الـشَّبحْ
مـن الثمـلِ	حَيَّـرَ عقلـي	في خدودِ ذا البدر
قُـمِ اسْـتَجْلي	ذا واسْـتملي	مَنْ عِذارُهُ عُذري
بـلا مَـيْنِ	مـشروحي	ومـا أجيـبُ
بـلا مَـينِ	سَـبى روحـي	هـذا الحبيـبُ
مـنَ الحـينِ	بمـا يجـيء	هـو الطبيـبُ
دعِ عَـذلي	مـا يُـسْلي	بلْ ربّمـا يُغري
كـمْ مثلـي	مِـن قبلـي	مَن كانَ أمْرُهُ أمْري
تفـدي نَفسي	وقلّـتْ فِـدَا	لـذا القـدِّ
فيـا شَمْـسي	قـل لـي غـدا	ومـا وعـدي
كمـل أنْـسي	بـرغم العِـدَى	أجِـبْ قـصْدي
دعِ قتلـي	صِـل حَبْلـي	واغتَنِمْ بِهِ أجْري
واسْـمَحْ لـي	بالوصـلِ	حَبيبي فنى صَبْري

وقال[5]:

قـد صـفا الوقـتُ، وقـد رقَّ النـسيمْ
قـمْ بِنـا نَـرْبَحْ
قـد خـلا الـسَّمْتُ، ومـن نَهْـوى قـديمْ
حقّنـا نفـرَحْ
فـي طـوى قـد شـمت جنّـات النّعـيمْ

الواعظ: حرمة الشيب والآداب تمنعنا عن غاية ما في الباب، وقد رسمنا للملوكك خطلوشاه يأتي إليك كلّ نهار كرّتين، فوات الوفيات: ١٠٧/٤.

(١) القصيدة في فوات الوفيات: ١٠٤-١٠٥.

(٢) مملوك علاء الدين الجويني، وكان في غاية الحسن والجمال، وكان شمس الدين الواعظ مغرماً به، فلما بلغت هذه الأبيات علاء الدين كتب إلى

(٣) الأبيات في فوات الوفيات: ١٠٧/٤، وعقود الجمان (خ): ورقة ٣٢٥.

(٤) الموشح في الوافي بالوفيات: ٧٠/٢-٧١.

(٥) الموشح في فوات الوفيات: ١٠٦/٤-١٠٧.

أبـــــــــداً تُفـــــــــتحْ
فـاختلِسْ مِـنْ صـرفِ دَهْـرٍ ورقيـبْ
ســـــــاعةَ الإمكـــــــانْ
فـــالتواني بعـــد أنْ يـــدنو الحبيـــبْ
غايـــــــــة الخُـــــــسْرانْ
فـي الـصِّبا قـد جـاءَ فـي حـال الهبـوبْ
خيـــــــر لـــــــي راقْ
وارد أظهـــر لـــي مـــا فـــي الغيـــوبْ
هَـــــيَّجَ الأشـــــواقْ
قـــد تجلّـــى الآنَ معـــشُوقُ القلـــوبْ
مَعْـــــــشَرَ العُـــــشّاقْ
هـــا حبيـــب القلـــبِ قـــد أمْـــسى قريـــبْ
أيُّهـــــــا النُّـــــــدمانْ
مَـــنْ لـــهُ مِـــنْ قربِـــه أدْنـــى نـــصيبْ
لا يكـــــــنْ نـــــــدمانْ
تُـــسكرُ الألبـــابَ كاســـاتُ الـــصِّبا
عنـــــدَ وقـــــتِ الـــــسَّحَرْ
حـــينَ تَهْـــوَى نَـــشْرَ رايـــاتِ الرُّبـــى
وأريـــــــجَ الزَّهَـــــــرِ
وترانـــــا نتثنّـــــى طربـــــاً
لبلـــــــوغِ الـــــــوطرِ
احـــسدينا فـــي التَّثنـــي إذ نطيـــبْ
يـــــا غُـــــصُونَ البـــــانْ
أبـــدأ لا يَـــسْتوي غـــصنٌ رطيـــبْ
وفتًـــــى نـــــشوانْ
قـــد تعرضـــتُ بـــسكانِ اللـــوى
وحمـــــى الأجْـــــرعْ
أيـــنَ مَـــنْ يعـــرف قـــانونَ الهَـــوَى
قـــــمْ، ولا تجـــــزعْ
وائتمِـــرْ لـــي واتّبعنـــي فـــي الجـــوَى
وانطبـــــعْ واســـــمَعْ
هـــذه النيـــران عـــن يُمنـــى الكثيـــبْ
تـــــضرم النيـــــرانْ
مـــا ينـــالُ الفـــوزَ منهـــا ويطيـــبْ
أبـــــداً كـــــسلانْ
يـــا عـــذولي لـــيسَ ذا وقـــت العتـــابْ
فانـــــا مَـــــشغولْ
أنـــا أبغـــي الآنَ مـــع كـــشفِ الحجـــابْ
أبلـــــغ المـــــامُولْ
إنْ تقـــلْ أنـــتَ قتيـــلٌ فـــالجَوَابْ
رضـــــيَ المقتـــــولْ
خلنـــي يـــا عـــاذلَ الـــصَّبِّ الكئيـــبْ
كـــان مـــا قـــد كـــانْ
فحبيبـــي نـــصب عينـــي لا يغيـــبْ
مِـــنْ ضـــميري دانْ

وقال[1]: الكان وكان

أيّ من غفل وتولى	الركب فاتتْ صحبته	وفي الدّجى حاديهم
حدى وحث النوق	حث المطايا لعلك	بمن تقدّ تلتحق
من لا يحث المطايا	لا يبصر المعشوق	ناقة تتضمخ
من شدة السير بالدما	تصل إلى موطنها	مضمّخة بخلوق
ياذ الطلب قد بلغت	الارب وقد زال التعب	ألف الفت الناقة
لها عليك حقوق	يا بدر تم تجلّى	وهيم الخلق منظرهْ
جميع من في العالم	إلى لقاك مشوق	فبالنبي محمد
وحقّ مولانا علي	ما هيّم القلب إلاّ	قوامك الممشوق

وقال يخاطب الغيث[2]:

فاوراق نبتك قوت الأبدان أي غيث السّما
وأوراق نبتي قوت الأرواح والعشاق
لمّا حللت نطاقك نثرتَ عقد اللؤلؤي
ودر عقدي ينشر وما حللت نطاق
لا تعتبوا للعاذلِ إذ لام فيمن تعشقوا
فما رأى حسن وجهو ولا لِوَصْلو ذاق
حبيبنا يتعرض لنا إن أعرضنا عنو
يغار على من يحبو فديت ذي الأخلاق
غررت في السير يا ذا لمّا عدلت عن النقا
ومن ذكرت سليمى قدحت في حراق
يا من يعرض بليلي أشفق على أهلِ الهوى
فتحت قولك معاني فيها الدما تراق
كمْ لي أبهرج حالي الدع يكشف بغيتي
وعند أهل المعارف ما للنفاقِ نفاق
واللهِ وباللهِ وتاللهِ ما كان فراقي بشهوتي

(١) الكان وكان في كشكول البهائي: ١/١٥٤.
(٢) الشعر في كشكول البهائي: ١٥٥.

أيش أقدرْ اعمل إني في باب بدر رواق

وقال[1]:

يا من عصى وتجرا ارجع إلى من قد سترْ

أراك تعصي ولطفو دائم وراك وراك

متى قصدت فتح لك في الحال أبواب الرضا

ولو قصدت بهذي الحالة يوماً أباك أباك

لطفو ترى في المضايق يصل وإن كنت منقطع

عنو وغير ويقطع فيما عراك عراك

لا في بلدك مع أهلك تقعد، ولا كة تصلْ

ولا بوادي بوادي تحت الأراك أراك[2]

وقال[3]:

قال لي حبيبي ما لك مثل السواك من الضنا

فقلت ما خلاي مثل السواك سواكْ

قال لي تقلع علي فقلت لو يا سيّدي:

الله وكلّ العالم تدري أنني أهواكْ

فقال: نعليكْ اخلعْ إن أردت وادي قدسنا

وذا هواسا يقول: حذاك حذاكْ

* * *

المصادر والمراجع

١- أخبار الأول فيمن تصرّف في مصر من أرباب الدول: لمحمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح بن الإسحاقي المنوفي، المطبعة الأزهرية، مصر ١٣١١هـ

٢- الأدب العربي في العصر الوسيط: د. ناظم رشيد، دار الكتب والوثائق، بغداد ١٩٩٢م.

٣- الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام: لمحمد بن قاسم بن محمد النويري (ت ٧٧٥هـ) تحقيق: د. إيتين كومب، د. عزيز سوريال عطية، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٤- أنوار الربيع في أنواع البديع: لصدر الدين علي بن معصوم المدني (ت ١١١٢هـ) تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٥- البداية والنهاية: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٦- تأهيل الغريب: لشمس الدين الحسن بن محمد بن علي النواجي (ت ٨٥٩هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد عطا مطبعة مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٧- تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي: السباعي البيومي، مطبعة الرسالة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٨م.

٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: للحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٩- تاريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م

١٠- تاريخ ابن الفرات: لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات(ت ٨٠٧هـ)، تحقيق: د.قسطنطين زريق، مطبعة الأمريكانية، بيروت ١٩٤٢م.

١١- تاريخ مدينة السلام: لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي (ت ٤٦٣هـ) تحقيق: د.بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

١٢- التذكرة الفخرية: لبهاء الدين علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٢هـ)، تحقيق: د. نوري حمودي القيسي، د. حاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي ن بغداد ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٣- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب: لكمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣هـ) تحقيق: د. مصطفى جواد، المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٦٢.

١٤- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) تعليق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

١٥- حلبة الكميت في الأدب والنوادر والفكاهات المتعلقة بالخمريات: لشمس الدين محمد بن الحسن بن علي النواجي (ت٨٥٩هـ)، المكتبة العلامية، مصر ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

١٦- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة

(١) الشعر في كشكول البهائي: ١٥٥.

(٢) هذا جناس تام، والمقصود بأراك الأولى شجر الأراك، والثانية الرؤيا.

(٣) الشعر في كشكول البهائي: ١٥٥-١٥٦.

السابعة: لكمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد بن الفوطي الشيباني (ت ٧٢٣هـ)، تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة الفرات، بغداد، ١٣٥١هـ

١٧- خزانة الأدب وغاية الأرب: لأبي بكر علي بن عبد الله بن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) تحقيق: د. كوكب دياب، دار صادر، بيروت ٢٠٠٣م.

١٨- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: لمحمد أمين بن فضل الله المحبّي الحنفي (ت ١١١١هـ) تحقيق: محمد حسن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

١٩- الدرّ الفريد وبيت القصيد: لمحمد بن أيدمر (ت ٧١٠هـ) مكتبة السليمانية - مجموعة الفاتح - استانبول، الرقم (٣٧٦١)

٢٠- الدليل الشافي على المنهل الصافي: لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.

٢١- ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي: تقديم وشرح: محيي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٢٢- ديوان الصبابة: لشهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي (ت ٧٧٦هـ)، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٧م.

٢٣- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٤- ـ ذيل مرآة الزمان: لقطب الدين موسى بن محمد اليونيني (٧٢٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الدكن، الهند ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

٢٥- رسالة الطيف: لبهاء الدين علي بن عيسى الإربلي (ت ٦٩٣هـ) تحقيق: د.عبد الله الجبوري، دار الجمهورية للطباعة، بغداد ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٢٦- سير أعلام النبلاء: للحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق: محبّ الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٢٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لأبي الفلاح عبد الحيّ بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٢٨- شرح عقود الجمان في المعاني والبيان: لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: د. إبراهيم محمد الحمداني، د. أمين لقمان الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١م.

٢٩- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: لصفي الدين عبد العزيز بن سرايا بن علي الطائي (ت ٧٥٠هـ)، تحقيق: نسيب نشاوي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٢م.

٣٠- صفة الصفوة: لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد المعروف بابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمود فاخوري، محمد رواس قلعه جي، الطبعة الأولى، مطبعة الأصيل، حلب ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

٣١- الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع: لمحمد بن قاسم بن زاكور الفاسي (ت ١١٢٠هـ) تحقيق: بشرى البداوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١ ٢٠٠١-٢٠٠٢ م.

٣٢- العاطل الحالي والمرخص الغالي: لصفي الدين عبد العزيز بن سرايا الطائي (ت ٧٥٠هـ)، تحقيق: د. حسين نصار، دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد، ط٢ ١٩٩٠م.

٣٣- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: لتقي الدين محمد بن أحمد الحسيني المكي (ت ٨٣٢هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣٤- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان: لبدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (ت٨٥٥هـ)، تحقيق: د. محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣٥- عقود الجمان على وفيات الأعيان: لبدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، معهد إحياء المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة، الرقم (٣٣٨ تاريخ)

٣٦- عيون التواريخ: لمحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: الدكتورة نبيلة عبد المنعم داود، والدكتور فيصل السامر، دار الحرية، بغداد ١٩٨٤م.

٣٧- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى (ت ٧٠٩هـ)، دار صادر، بيروت ١٣٨٠هـ

٣٨- فصول في الأدب الأندلسي: د. حكمت علي الأوسي، دار الحرية، بغداد ط٢ ١٩٨١م.

٣٩- فوات الوفيات والذيل عليها: لمحمد بن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٤م.
٤٠- قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر: لأبي محمد الطيّب بن عبد الله بن أحمد بن علي بن بامخرمة الحضرمي (ت ٩٤٧هـ) عني بجمعه: بو جمعة مكري، وخالد زواري، دار المنهاج، السعودية ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.
٤١- الكشكول: لبهاء الدين محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني (ت ١٠٣١هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٤٢- الكشكول: لأبراهيم بن مهدي بن حسن القديحي (ت ١٢٦٩هـ)، تحقيق: عبد الغني العرفات، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ط١ ١٤١٨هـ
٤٣- كنوز الذهب في تاريخ حلب: لأبي ذر موفق الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل المعروف بابن سبط الحلبي (ت ٨٨٤هـ)، تحقيق: د. شوقي شعث، فالح البكور، الطبعة الأولى، دار القلم العربي، حلب ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
٤٤- مجمع الآداب في معجم الألقاب: كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ)، تحقيق: محمد الكاظم، الطبعة الأولى، إيران ١٤١٦هـ
٤٥- مختصر التاريخ: لظهير الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بابن الكازروني (ت٦٩٧هـ) تحقيق: د. مصطفى جواد، مطبعة الحكومة بغداد ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
٤٦- مختصر تاريخ الخلفاء: لعلاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري (ت ٧٦٢هـ) تحقيق: آسيا كليبان علي بارح، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤م/ ٢٠٠٣هـ
٤٧- مسامرة الحبيب في الغزل والنسيب: لمؤلف مجهول (يرجّح أنّه من أعلام القرن العاشر الهجري) دار التقدّم، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦١م.
٤٨- مطالع البدور ومنازل السرور: لعلاء الدين علي بن عبد الله البهائي الغزولي، مطبعة إدارة الوطن، مصر، الطبعة الأولى ١٢٩٩هـ
٤٩- معجم البلدان: لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت).
٥٠- المعجم الوسيط: أخرجه كلٌّ من: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥١- الموشح في الأندلس وفي المشرق: د. محمد مهدي البصير، مطبعة دار المعارف، بغداد ١٣٦٧هـ ١٩٤٨م.
٥٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للحافظ شمس الدين الذهبي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
٥٣- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: للشيخ أحمد بن محمد المقري لتلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٨٦م.
٥٤- الهول المعجب في القول بالموجب: لأبي الصفاء خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
٥٥- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
٥٦- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٦٠٨- ٦٨١هـ)، تحقيق: د. يوسف علي طويل، د. مريم قاسم طويل دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

* * *